الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة –
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: ط1 :2323064092970

رقم التسجيل: ط2 :2323075105671

عنـــوان :

الخطاب النفسي في الحكاية الشعبية منطقة حمام الضلعة – أنموذجا -

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالب (ة):

- قرين فواز
- بحاش أمين

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
حجاب عبد اللطيف	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	رئيسا
عبد العزيز ناصر	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
معمري عبد الكريم	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية :1444-1445هـ/2023-2024م

الإهداء

إذا كان الإهداء عبر ولو بجزء من الوفاء فالإهداء إلى :

معلم البشرية ومنبع العلم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

يا من احمل اسمك بكل فخر ، إلى رمز الرجولة و التضحية ، إلى من دفعني إلى العلم و به ازداد فخري .

إلى ينبوع الصبر و التفاؤل و الأمل ، ورسمت المستقبل بخطوط من الأمل والثقة.

إلى الذي لا تفيه كلمات الشكر و العرفان بالجميل ، إلى أبي العزيز .

إلى من يسعد قلبي بلقياها ، إلى روضة الحب التي تنبت أزكى الأزهار .

إلى من ركع العطاء أمام قدميها وأعطتنا من دمها وروحها .

إلى من بوجودها اكتسب قوة ومحبة لا حدود لها ، إلى من عرفت معها معنى الحياة إلى أمي الحبيبة .

إلى جميع الأساتذة الأفاضل ، واخص بالذكر الأستاذ الفاضل مقران قويدر

إلى صديقي وأخي الذي عرفت حريزي رشيد

إلى رفيق دربي أمين بحاش

إلى جميع إخوتي وأخواتي ، والى كل من ساعدني في انجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد.

فواز قرين

الإهداء

الحمد لله الذي جعل لكل شيء قدرا وجعل لكل اجل كتاب أما بعد :

اهدي ثمرة هذا العمل إلى :

من قال الله عز وجل عنهما :" واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " سورة القصص /55

إلى رمز الحب ومنبعه .. وصوته وصداه .. وروحه ومعناه .. أهديكما سهم وقف .. برا في جنة ونعيم في الفردوس الأعلى ارجوا به الغفران .. وتلبية لوصية الرحمان (وبالوالدين إحسانا) جعل الله روحكما بجوار النبي (ص)

إلى ذلك الجبل الذي عندما تميل بي الدنيا اسند نفسي عليه عند الشدائد حيث قال الله فيهم(سنشد عضدك بأخيك) أخي حفظه الله *هشام * كما لا أنسى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

بحاش أمين

شكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا يليق بجوده وكرمه و الصلاة و السلام على سيد المرسلين أما بعد :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

أول مشكور هو الله سبحانه وتعالى ، ثم والدينا على مجهوداتهم المبذولة من الصغر إلى الكبر حتى نهاية المسار الجامعي

أتقدم بالشكر الجزيل و الامتنان العظيم و التقدير العميق إلى أستاذنا المشرف الدكتور ناصر عبد العزيز لما منحه لنا من وقت وجهد وتوجيه وتشجيع وإرشادنا بالنصح طيلة فترة الإعداد ، وكذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذتنا الكرام وكل من ساهم في تعليمنا .

كما لا ننسى شكر كل من الكاتب رشيد حريزي الذي لم يبخل علينا بتقديم الدعم لنا

و الشكر الحار للأساتذة الكرام في كلية اللغة و الأدب العربي بجامعة ا لمسيلة كل باسمه ، كل جزيل الشكر و التقدير .

وفي الأخير نسال الله السداد و التوفيق

مقدمة :

تعد الحكاية الشعبية من أهم عناصر المرويات الشعبية ، فهي محط باحثي الفلكلور و المهتمين بالتراث الشعبي ، ونظرا لثراء مادتها وارتباطها بالقيم الفنية و الجمالية التي يعكسها الوجدان الشعبي و الإبداع الجماعي ، فمن خلالها استطاع الإنسان ان ينقل كل تصوراته وعاداته وخبراته في الحياة ويقدمها في أسلوب قصصي محكم .

وفي ظل الزخم الثقافي الرهيب وتعدد وسائط التكنولوجيا و الإعلام ، بات من الصعب أن تجد الحكايات الشعبية مكانا لها خاصة في غياب حفظة التراث ، وضعف الذاكرة وزحف النسيان ، إذ بدأت الحكايات في التلاشي و الضياع من الذاكرة ، تلك الحكايات التي طالما شغفتنا بها وكنا نستمع لها من جداتنا وأمهاتنا ونحن نختبئ تحت الأغطية في ليالي الشتاء الطويلة الباردة .

إن سهولة لغة الحكاية الشعبية وبساطة شكلها وأسلوبها جعلها تستوعب مأثورا شعبيا أكثر مما تستوعبه المأثورات الشعبية الأخرى ، وهو ما جعلها تنتشر على نطاق واسع ، وتنتقل بحرية من شخص لأخر عن طريق الرواية الشفهية .

ولا تزال الحكايات الشعبية إلى يومنا هذا تلقى إقبالا شديدا ، ولعل هذا ما تترجمه ملامح السامع وانفعالات الراوي ، فعلى الرغم من سماعنا لهذه الحكايات لمرات عديدة إلا أن دوام تأثيرها و الشغف الذي تبعثه في نفوسنا باق في كل مرة نستمع فيها إليها ، ذلك أنها استطاعت أن تعبر عن خلجات روح الإنسان الشعبي البسيط وطموحاته وتطلعاته ، وتزرع الأمل و الإشراق في نفسيته وتقدم له الحلول التي جد في البحث عنها وتبعث في نفسه التفاؤل وتمده بالراحة و الطمأنينة ، وتكسبه الثقة وتدفعه لتجاوز كل الصعوبات و العراقيل التي امتحنته بها الحياة .

لذلك أردنا أن تكون الحكاية الشعبية موضوع بحثنا هذا و الذي وسمناه بـ **الخطاب النفسي في الحكاية الشعبية – منطقة حمام الضلعة أنموذجا –** ويضعنا هذا العنوان على عتبة مجموعة من التساؤلات التي شكلت محجتنا في هذه الدراسة و التي تتمحور حول إشكالية جوهرية تفرعت عنها أسئلة فرعية تمثلت فيما يلي :

- هل عبرت هذه الحكايات الشعبية الحمامية بحق عن آمال المجتمع الحمامي وطموحاته إن لم نقل مخاوفه وآلامه ؟
- هل يمكن اعتبار الحكاية الشعبية الية دفاعية من شانها ان تعيد التوازن النفسي داخل الإنسان ليفهم نفسه بشكل أفضل في قلب هذا العالم المتناقض ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة ارتأينا وضع خطة ممنهجة توزعت على مدخل وثلاث فصول احدهما نظري و الآخر تطبيقي تسبقهم مقدمة وتتلوهم خاتمة .

حيث تناولنا في الفصل الأول بيئة الحكي وتطرقنا إلى مظاهر الثقافة الشعبية وأشكال تعبيرها كما تناولنا واقع الحكي في المنطقة ومدى الاستجابة له ، أما الفصل الثاني المعنون بماهية الحكاية الشعبية وقد تناولنا فيه : تعريف الحكاية الشعبية لغة واصطلاحا ، ثم تطرقنا إلى مصادرها ، ثم تناولنا جانب من وظائفها .

أما الفصل الثالث المعنون بتجليات الخطاب النفسي بمنطقة البحث تناولنا فيه المنهج النفسي في تحليل الحكاية الشعبية ثم عرجنا على ملخص لحكاية بقرة اليتامى لنصل إلى توضيح بعض المرموزات النفسية التي وردت في الحكاية ، لنصل في الأخير لوضع خاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال صيرورة البحث .

كما أن اختيارنا لهذه الحكايات لم يكن وليد الصدفة بل كانت وراءه أسباب موضوعية وأخرى ذاتية ، أما الأولى فتمثلت في الحفاظ على الموروث الحكائي الشعبي الذي أصبح مهددا بالانقراض و الضياع ، هذا التراث الذي يشكل جزء من هويتنا العربية الجزائرية وعمق الانتماء لهذا المجتمع .

هذا عن الأسباب الموضوعية ، أما الأسباب الذاتية فتمثلت في شغفنا وميلنا الشديدين إلى الحكايات الشعبية منذ الصغر ورغبتنا في خوض تجربة نقدية جديدة في مجال التراث لنسهم ولو بقدر بسيط في تزويد المكتبة العربية بمثل هذه الدراسات التي تلقى عزوفا كبيرا من طرف بعض الباحثين وينظر إليها نظرة دونية .

ولا ندعي الأسبقية في هذا المجال فقد سبقنا إليها مجموعة من الباحثين و الدارسين نذكر منهم :

- سنوسي صليحة ،السلوك الاجتماعي و القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري " دراسة اجتماعية أدبية " رسالة دكتوراء ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان
- هجيرة عزيزي، الحكاية الشعبية في منطقة حمام الضلعة "جمع ودراسة " رسالة ماجستير في الادب الشعبي الجزائري ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة .

وكأي بحث أكاديمي لا يخلوا من الصعوبات و العراقيل، فقد واجهتنا إثناء دراستنا مجموعة من الصعوبات و العراقيل نذكر منها :

- صعوبة الحصول على المادة العلمية " الحكايات " من الميدان لان معظم الرواة وحفظة التراث وافاهم الأجل وأصبحوا يعانون من ضعف الذاكرة إلى جانب صعوبة استفزاز الذاكرة الشعبية واستنطاقها ورغم ذلك فقد حاولنا تذليلها وتجاوزها ما استطعنا إلى ذلك ندرة الدراسات النفسية في هذا المجال .

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المراجع الثرية و المتنوعة والتي وجدنا بين طياتها ما يعيننا على انجاز هذا الموضوع نذكر منهم : الدكتور شوقي عبد الحكيم " الحكايات الشعبية العربية " وبونوا بلتهايم " التحليل النفسي للحكايات الشعبية" ، ترجمة طلال حرب، و الباحث محمد سعيدي في كتابه" الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق" .

وفي الأخير لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى أستاذنا المشرف ناصر عبد العزيز الذي كان له الفضل في رعاية هذا البحث و الدفع به إلى النور منذ الفكرة الأولى إلى أن أصبح واقعا ملموسا ، كما نثني بالشكر الجزيل على أعضاء لنة المناقشة الموقرة الذين تجشموا عناء قراءة هذا البحث ، ونرجو أن ينال عملنا هذا رضاهم ، ونفوز بتوجيهاتهم القويمة ونصائحهم السديدة ، فلهم منا جزيل الشكر ، فان أصبنا فتلك منة من الله وحده ، وان أخطانا فحسبنا أننا اجتهدنا وأخلصنا النية و العمل و الله من وراء القصد انه نعم المولى ونعم النصير

بيئة الحكي.

1- مظاهر الثقافة الشعبية في المنطقة.

2- أشكال التعبير الشعبي في المنطقة.

3- واقع الحكي في المنطقة ومدى الاستجابة له.

4- أنماط الحكايات المتداولة في منطقة البحث.

1. بيئة الحكي – حمام الضلعة:-

أولا :لمحة جغرافية عن ميدان الدراسة:

أ –**النشأة و التسمية** :يرجع البعض التسمية إلى الحقبة الهلالية. أثناء تواجد بني هلال في المنطقة . ومردها إلى أن أحد الأحصنة قد ضلع(تعثر) في الجبل فانكسرت إحدى أضلاعه، فأطلق على ذلك الجبل اسم الضلعة، وبعدها اقترنت التسمية الأولى –الضلعة – بالحمام، على اعتبار أن المنطقة تتوفر على حمامين معدنيين، وبهذا أصبح يطلق عليها حمام الضلعة، وأصبحت الضلعة اسم معروف بالحمام.

وتجدر الإشارة إلى أن بلدية حمام الضلعة كانت تابعة إداريا لدائرة المسيلة ولاية سطيف إلى غاية سنة 1984 أين تم التقسيم الإداري الجديد، وأصبحت بلدية حمام الضلعة مقرا للدائرة وتظم أربع بلديات (حمام الضلعة الذي هو مقر الدائرة ، ونوغة، تارمونت، أولاد منصور) بموجب المرسوم رقم 84 /365 المؤرخ في 1984/12/10 .

ب–الموقع : تقع بلدية حمام الضلعة في الشمال الغربي لولاية المسيلة على بعد 30 كلم عن مقر الولاية يحدها من :

الشمال : ولاية برج بوعريريج المتمثلة في دائرة المنصورة

الشرق :ولاية برج بوعريريج المتمثلة في بلدية القصور

الغرب : بلدية ونوغة

الجنوب :بلدية تارمونت و اولاد منصور

وتتوزع على مساحة قدرت (387 كلم^2) موزعة بين أراضي فلاحية وأخرى جبلية غابية

ثانيا : لمحة تاريخية عن ميدان الدراسة :

للمنطقة تاريخ خاص مع الهلاليين الذين قدموا المنطقة قديما ، ولا تزال الذاكرة الشعبية تحفظ أحداث مجيئهم إلى المنطقة ، و المكان الذي استقروا به وشيدوا هنالك ضريحا يدعونه

بوهلال كما أن الكهف الموجود في سفح ذلك الجبل يطلق عليه كاف بوهلال ، وقد قدموا من المغرب وأهل المنطقة يصفونهم بالخرافيين، فيتناولون قصة فيما بينهم مفادها تدل على الخفة أو الطيران ، فالصاعد إلى ذلك الجبل – جبل بوهلال – يستغرق اكثر من ساعة لبلوغ تلك المنازل المشيدة هناك وكذلك الضريح الذي أقاموه على سفح الجبل فيروون حكاية مفادها أن امرأة من نسائهم كانت تقصد منبع الواد لكي تملا القربة بالماء ، فتضع الرغيف على الموقد وتنزل ، وعند عودتها تجد أن الرغيف لم يستوي بعد " **ادقول هاذيك المخلوقة ايهزها ملك** "

كما أن المنطقة قد عرفت توافد الرومانيين إليها " فقد عثر على بعض الآثار ، التي أرجعها الباحثون الى الحقبة التي تواجد فيها الرومانيون في المنطقة "[1]، ويذهب المؤرخون إلى أن المسيلة " قد أنشأها الرومانيون لتكون بذلك منطقة حدودية على الخط الدفاعي الثاني وتمنع من الزحف الرحل الذين يترددون على بحيرة شط الحضنة من الجزء الغربي " [2]

وقد عرفت المنطقة ويلات الاستعمار الفرنسي مثلها مثل باقي أقطار الوطن ، ومن أهم الأحداث و المعارك التي حدثت في المنطقة نجد " معركة الحوران التي جرت وقائعها في 02/ 1985 أين حدث هنالك هجوم على مركز الحوران ، و التي تندرج ضمن الولاية التاريخية الثالثة ، وكان القائد آنذاك عيسى البلاندي ورابح الثايري ، ومن نتائج هاته المعركة اغتنام عدة هياكل من الذخيرة و الأسلحة " [3]

وكذلك معركة " أولاد سيدي عمر " في 1985/05/13 بقيادة رابح الثايري وبوشمال محمد وقد خلفت هاته المعركة تسعة مجاهدين وإسقاط طائرة للمستعمر الفرنسي " [4]

[1] - مجلة الحضنة : عدد خاص بمناسبة الذكرى الخمسين لعيد الاستقلال و الشباب ، تصدر عن ولاية المسيلة جويلية 2012 ص 50.

[2] - محمد البشير شنيتي : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة الروم) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، الجزائر ، د ت ، ص 175.

[3] - مجلة الحضنة : عدد خاص بمناسبة ذكرى يوم المجاهد ومؤتمر الصومام ، تصدر عن مديرية ولاية المسيلة ، ص18.

[4] - المرجع نفسه ، ص19.

ويعتبر مقر البلدية الحالي قديما مركزا للتعذيب ، حيث أنشاته الإدارة الاستعمارية لاستجواب الفلاقة بالإضافة إلى الثكنة العسكرية المتواجدة بالمنطقة ، " و التي أنشات سنة 1958 لتعذيب المجاهدين وسجنهم " [1]

ثالثا : النشاط الاقتصادي بالمنطقة:

أ-النشاط الزراعي :يغلب على منطقة حمام الضلعة الطابع الجبلي الأمر الذي ساهم في ازدهار الزراعة باعتبارها النشاط الأول الذي مارسه السكان، ويعمد الفلاحون أثناء عملية الحرث إلى استعمال المحراث التقليدي، وذلك لصعوبة التضاريس الجبلية التي تمنع من وصول الجرار إليها لهذا نجد أن سكان منطقة الدريعات لا يزالون يزاولون الزراعة بالطريقة التقليدية، ويبدأ موسم الحرث عادة في الخريف ، علما أن منطقة حمام الضلعة تشتهر بزراعة القمح والشعير بنسبة كبيرة .

ب-الرعي وتربية المواشي : وعلى اعتبار أن المنطقة يغلب عليها الطابع الجبلي فهذا يسهم في توفر الكلأ والعشب الذي يساعد في ازدهار هذا النشاط، خاصة في المناطق التالية: (القطف – الدريعات – المريجات – بئر ماضي – لقمان ...الخ) فساعدت البيئة على البيئة على تربية المواشي، وقد أشارت الكثير من الحكايات في نصوصها إلى عملية الرعي .

ج- **الصناعة** :لم يحفل هذا النشاط بالأهمية التي حفلت بها الزراعة ، بل كان نشاطا ثانويا غلب عليه الطابع المعيشي المكمل للزراعة ، فنجد أن الإنسان البدائي سعى إلى أن يشكل من الحديد ما يساعده في عملية الزرع ، فصنع المحراث التقليدي و الفأس إلى جانب الفرش ، وصنع كذلك السيوف و السكاكين لحاجته إليها .

في حين نجد أن الصناعة النسيجية ارتبطت بتربية المواشي لتوفرها على المادة الأولية (الصوف ، شعر الماعز، والوبر) التي تستخدم في هذا النوع من الصناعة

[1] - مجلة الحضنة : عدد خاص بمناسبة ذكرى يوم المجاهد ومؤتمر الصومام، ص25.

وقدأشارت حكاية **بثرة اليتامى** [1] الى كيفية استعمال الصوف في حياكة "البرنوس و الغناسة "أما شعر الماعز فقد أستعمل في صناعة "**التليس**"[2] في حين استعمل وبر الجمال في حياكة "القشابية "[3] .

أما صناعة الفخار بما أن المنطقة تتوفر على المادة الأولية في صناعته – الطين الحر، الصلصال – فقد عمدوا الى صناعة مختلف الأغراض التي تستخدم لعملية الطهي وتحضير الأكل فنجد (الطاجين ، القدر، الصحون ، الجفنة) وما الى ذلك .

وعموما فقد اقتصرت هذه الصناعات على العائلات التي تتوارث هذه الصناعات جدا عن ابد ، فنجد بعض العائلات تقوم بتدريب أبنائها منذ الصغر على إشراكه في العمل ، فيتدرب تدريبا كاملا منذ نشأته ، حتى أننا نجد الكثير من العائلات أصبحت تكنى بالحرفة التي تمتهنها فنجدها تكنى ببيت الحداد و الخياط ، وبيت النجار ... الخ .

وعموما فان الصناعة التي اشتهرت بها المنطقة هي صناعة بسيطة خدمت الإنسان البدائي من اجل تامين لقمة العيش .

2-مظاهر الثقافة في المنطقة :

اولا: المعتقدات الشعبية :المعتقدات هي " أفكار حول قضايا يعيشها المجتمع وتشغل باله وتؤثر في سلوكه اليومي ، فتجعله يتعود على أنماط سلوكية دون محاولة تفسيرها أو البحث عن أسبابها أو صلاحيتها "[4] فلكلا مجتمع معتقدات يتمسك بها ولها أهمية في حياته باعتبارها تمثل جانبا مهما من جوانب الثقافة التي تلقاها الفرد ، ومن هذه المعتقدات نجد:

[1] - ينظر في الملحق ، حكاية بقرة اليتامى .
[2] - التليس : عبارة عن كيس يحمل فيه المسافرون زاد السفر .
[3] - القشابية : لباس تقليدي يرتديه الرجال في فصل الشتاء .
[4] - عبد الحميد بن الشيخ: مظاهر الأسطورة في المعتقدات الشعبية في الريف الجزائري ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2002 ، ص9 .

أ- **الاعتقاد بالأولياء الصالحين:** يعتقد معظم الناس أن الأولياء الصالحين هم "رجال مقربون إلى الله لهم إمكانية الاتصال به أكثر من غيرهم ولهم مقدرة عجيبة على الأفعال الخارقة والمعجزات"[1] فتجدهم يعتكفون على زيارة ذلك الولي بين الفينة والأخرى من أجل التبرك به والتقرب إلى الله، أومن أجل التكفير عن نذر أو وعدة؛ وهي أن يعد شخص ما ذلك الولي بأنه في حالة ما تمكن من قضاء مراده سيقدم له أضحية أو مبلغا من المال. وكل هذا نابع من اعتقادهم بأن ذلك الولي قادر على مساعدتهم.

ب **الاعتقاد بعوالم الجن والعفاريت :** تعتقد الكثير من المجتمعات أن الجن يتربص بالإنسان ولهذا تجدهم يتفادون الحديث عنه مخافة أن يقوم ذلك الجني بأن يتملك الشخص الذي تكلم فيقومون بذكر الله ويستعيذون من الشيطان الرجيم حتى يأمنوا شره، وعادة ما يقوم أهل البيت بذبح شاة أو ديك عند عتبة الباب الجديد قبل أن يقيموا فيه اعتقادا منهم أنهم يقومون بطرد الجن والعفاريت منه لاعتقادهم سلفا بأن الجن يسبق أهل البيت بدخول المنزل بأربعين يوما.

أما فيما يخص تواجد أماكن هذه المخلوقات فيعتقدون أن الأسواق "تمتلئ بأهل الخير"[2] وكذا الغابات و الأماكن المظلمة و البيوت المهجورة ، التي اتخذت منها مأوى للتواجد فيه.
هكذا اعتقد أهل المنطقة بوجود عالم خفي يماثل عالمنا الواقعي قادر على التزاوج فيما بينه مكون لأسر مثله مثل البشر.

ج- **الاعتقاد بالعين ووجود السحر وممارسته:** يؤمن أهل المنطقة بوجود العين بشكل كبير وملفت للنظر في الكثير من الأحيان، ولتفادي ذلك يعملون إلى وضع عدة أشياء في اعتقادهم تمكنهم من طرد شر الحاسدين، فيلجؤون إلى تسبيع الملح مثلا على الشخص الذي أصيب بالعين ورمي جزء منه في النار أما الجزء المتبقي فينثر في زوايا البيت ، ويقومون أيضا بتسبيع البيضة، ثم يقومون بجلب كمية من الدقيق يقومون بإضافة القليل من الماء إليها حتى تشكل العجينة ، بعدها يقومون بوضع البيضة فيها، ويشعلون النار ويضعونها

[1] - عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية) ، ص22.
[2] - عبارة يكنى بها الجن لتحاشي ذكرهم .

على جنب حتى تنفجر، ثم يقومون بقسمة تلك البيضة إلى نصفين النصف الأول يأكل أما النصف الثاني يرمى في زوايا المنزل. ويلجؤون لحفظ المنازل من العين وشر الحاسدين لكتابة البسملة على الأبواب وتعليق عجلات السيارات فوق سطوح المنازل. غير أن الحكاية الشعبية أشارت إلى موضوع السحر ففي **بقرة اليتامى** شرب أخاها من العين التي تقوم بسحر من يتنفس فيها فأصبح على هيئة غزال.

د- **الاعتقاد بأن الميت يوصل السلام:** يعتقد الكثير من الناس أن الميت عند موته يستطيع أن يوصل السلام لأهلهم وذويهم المتوفين، فيعمدون عند خروج الميت من المنزل أن ينادوا باسمه؛ يا فلان... بلغ سلامي إلى فلان أو فلانة وقل له أننا بخير وذلك كله اعتقادا منهم أن هذا الميت سيوصل سلامهم إليه وسيصف الحالة المعيشية لأهل ذلك الميت

هـ - **الاعتقاد بوجود رجل طائر في المنطقة** : يوجد اعتقاد محلي في المنطقة أنه في سنوات مضت كان هنالك رجل طائر وصف بالربانية والشخص الغير عادي يدعى **العربي بن حيزية**، وقد أشتهر هذا الرجل بالتنقل من مكان إلى مكان آخر في ظرف قياسي، فيروى أن أصحاب السيارات كانوا يقومون بعرض توصيله من سوق المسيلة إلى الدريعات مقر سكناه لكنه كان يعترض على ذلك ويرد عليهم (روحوا برك) فيذهبون ويتركونه، ولكن الغريب في الأمر أنه عند وصولهم يجدونه قد وصل قبلهم، رغم مجيئهم بالسيارة وهو ماشيا على قدميه، ويحكي أهل المنطقة أن الكثير من الناس قد شاهدوه وهو يقوم بعملية الطيران.

ثانيا: عادات وتقاليد المجتمع الحمامي: لكل مجتمع عادته وتقاليده التي ورثها عن أجداده وعن من سبقوه إلى الوجود، فقد وجدت بوجود الإنسان سارت معه وتسللت إلى يومياته فدست في أعماله وفي أفراحه وحتى أحزانه، فكانت هذه الاعتقادات هي رمز من رموزه التي تميز بها عن بقية الشعوب الأخرى، و من جملة العادات والتقاليد الممارسة في مجتمع البحث نجد:

أ **عادة التويزة:** تعتبر التويزة من العادات المتأصلة والضاربة بعمق في تاريخ المجتمع

الحمامي فهي تعد مظهرا من مظاهر التكافل الاجتماعي بين الأفراد التي تعمل على بث روح التعاون وبعث الفرد في إطار الجماعة

والتويزة في مفهومها؛ هي تجمع شعبي يظم العديد من الأفراد للقيام بتنفيذ أعمال لمصلحة مشتركة في جو أخوي تتخلله المحبة والتضامن دون تلقي أجر مقابل ذلك تمثيلا لقوله تعالى : { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ**} [1]. واقتداء بسنة خير الأنام رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم {**مَنَ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِن كُرْبَة مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَة مِنْ كُرَبْ يَوْمِ القِيَامَة** }[2] راه أبو هريرة. فعاداتهم نابعة من تعاليم الدين الحنيفة.

ب–**عادات الزواج:** تعطي له المجتمعات مكانة خاصة وجد هامة باعتباره اللبنة الأساسية لقيام مجتمع صالح، فتجد أن المجتمعات تحرص على انتقاء الزوجة المناسبة ذات النسب المشرف فتأخذ العائلات وقتها في التفكير قبل التقدم إلى خطبة الفتاة مستدلين في ذلك بالمثل الشعبي القائل " **زواج ليلة تدبار عام**".

ج –**عادات الختان:** تحظى مراسيم الختان بطقوس معينة عند أهل المنطقة فهو" يعبر عن تجارب الإنسان الشعبي وعلاقته الوثيقة بالمجتمع" [3]وتختلف مراسم الختان من منطقة إلى أخرى فلكل جماعة أساليبها وطرقها المتبعة، وتجرى عملية الختان في جو من الفرح، فيقام العرس الذي تتخلله الزغاريد والغناء والرقص، وقبلها يقوم والد الطفل بتعليق الراية التي توضع فيها حبتان من فاكهة الرومان و بيضتان وقطعة قماش خضراء تعلق على عصا ثم توضع فوق المنزل وتسمى الشارة.

---

[1] - المائدة : الآية (02).

[2] - أبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشري النيسابوري، صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ج 13

المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001، ص 212 .

[3] - عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار النسل للنشر والتوزيع، دط، الجزائر 2008، ص 17.

د-**عادة الوزيعة:** من التوزيع حيث يقوم فيها أهل المنطقة بذبح الأغنام وتوزيع لحومها على أهل المنطقة، وقد تكون هذه الوزيعة إما تصدقا على الفقراء الذين لا يستطيعون شراء اللحم أوقد تظهر في مظهر آخر وهو التكافل، وإما تعويضا عن خسارة لصاحب مال المواشي أو البقر...) فتذبح تلك الشاة وتوزع على أهل المنطقة مقابل مبلغ زهيد من أجل إعانة صاحب الوزيعة.

في الأخير أقول بأن هذه المعتقدات تبقى بمثابة عرف لا يستطيع أحد الخروج عنها، ومن خرج عنها عد مخالفا لأعراف أهل المنطقة وتقاليدها، فالمعتقد حسب رأي غوستاف" ناشئ عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان عن تصديق فكر، أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا"[1]، فتوقع الجماعة من خالف تقاليد وعادات المجتمع المحلي ستنزل به مصيبة لأنه تجرأ على خرق ما لا يجوز خرقه، في حين تبقى كلها عبارة عن تراث سعت الجماعة البشرية إلى المحافظة عليه رغم عوامل التغير التي تعتري حياتها، فلم ترضى بأن تبقى مخلفات لماض لم يدون بل حملت عبر الزمن من جيل إلى جيل آخر حرص على تقديس مثل هذه العادات واستحضارها في كل مناسبة شعبية سواء كانت أفراحا أو أعمالا ليربط الماضي بجسر الحاضر الذي نعيشه اليوم، ومن هنا فإن المنطقة ترفض تطليقها

في عصرنا الحالي وترى بأنها قوانين" ذات خاصية إجبارية إلزامية"[2] ، تلزم الأفراد على التقيد بهذه القوانين ووجوب الانصياع لها ، وإلا فإن مخالفته لها ستأدي به إلى ما لا يحمد عقباه.

ثالثا- الطب الشعبي في المنطقة: عمدت المجتمعات القديمة إلى تسخير الطبيعة وموجوداتها في معالجة ما يصيب الإنسان من أمراض داخلية أو خارجية، فأوجدوا حسب معرفتهم وعلى قدر ثقافتهم ما هو قادر على تعجيل الشفاء لهم من أسقامهم، فلجؤوا في علاجهم إلى نوعين من العلاج هما:

[1] - غوستاف لوبون: الآراء والمعتقدات، ص 17

[2] - سامية حسن: الثقافة والشخصية (بحث في علم الاجتماع) ، دط، بيروت، 1991، ص 109.

أ- **الطب المادي** : اعتمد الطب المادي على موجودات الطبيعة المستخرجة من الأرض وما عليها أعشاب وأشجار، فعمدوا إلى التداوي بالشيخ والنعناع والكمون والعرعار وكونوا منها وصفات قادرة على شفاء الأسقام ، ويتولى التداوي بالأعشاب في العادة شيخ كبير أو عجوز امتلكا الحكمة والمعرفة اللازمة بالأعشاب النافعة والضارة فملكا قدرة التمييز بين الأعشاب السامة وغير السامة، واستفادا من تجارب السابقين فلجؤوا إلى استعمال قصب اليراع والطين المعالجة أنواع الكسور والرضوض والذي استبدل حديثا بمادة الجبس ، ولآلام البطن الكمون والعرعار ... وما إلى ذلك.

ب **الطب الروحي:** يقوم به في العادة المشعوذون والعرافين والرقاة، وينقسم إلى قسمين:

-**الطب الشرعي** : ويتولى هذه المهمة رقاة شرعيون يعمدون إلى معالجة المرضى بآيات الذكر الحكيم، وما تنص عليه قواعد الرقية الشرعية دون الإخلال بشروطها، فالقرآن فيه شفاء للناس وكثيرا ما يقصده النسوة من أجل رقية الأطفال الصغار مخافة أن يغار الجن منه فيتملكه، كما أن عامة الناس تقصده لتحصين أنفسهم من العين والسحر وكل ما هو مؤذي فكل من لم تجدي معه الأعشاب الطبيعية نفعا لجأ إلى الراقي عله يجد عنده الشفاء.

-**الطب غير الشرعي:** يقوم به العرافون المخالفين لتعاليم الرقية الشرعية، مستخدمين التنجيم وعلم الفلك، فيتنبؤون بالغيب وهذا مخالف للشريعة وكبيرة من الكبائر، فالله وحده عالم بالغيب ولا أحد قادر على التنبؤ به.

رابعا - الجانب الديني في المنطقة: لغة أهل المنطقة متشبعة بالعبارات الدينية، ويظهر ذلك من خلال جملة الأحاديث المتبادلة فيما بينهم، فنجدهم إذا هموا لعمل شيء ابتدأوا بالبسملة والصلاة على رسوله الكريم، ويستشهدون في أحاديثهم بقصص الأنبياء أثناء تبادلهم لأطراف الحديث جاعلين بذلك لكل كلام حكاية قد جرت قديما في عهد الصحابة لدعم أحاديثهم بغية أن يظهروا بأنهم على الصحة وبأن أعمالهم وأقوالهم نابعة كلها من الدين الحنيف وأن للمحافظة عليه يجب قدر كبير من الصحة وبان أعمالهم وأقوالهم نابغة كلها من الدين

الحنيف ، وان للمحافظة عليه يجب التمسك بقصص من سبقونا والعمل على جعلها مستمرة في حاضرنا فعند حديثي مع الشيخ العربي طيهار وجدته يربط كل قول بحكاية للإمام علي كرم الله وجهه فضرب لي مثالا عند حديثه عن الشيطان وهو يقنع الإمام علي بأنه قد صلى صلاة الفجر ويمنعه عن الذهاب إلى **المسجد**، وما إلى ذلك من القصص الدينية كقصة سيدنا يوسف وقصة جماله التي فتنت النساء وشدة إيمانه القوي الذي حال دون وقوعه في الرذيلة ومن القصص أيضا قصة سيدنا ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعيد الأضحى وصارت تروى عند مطلع كل عيد وقصة سيدنا أيوب وصبره على المرض.

كل هذه القصص الدينية وغيرها تنم عن ثقافة المجتمع الحمامي المتمسك بقصص الأولين والتي استلهم منها الكثير.

خامسا – اللهجة المحلية في المنطقة: لهجة المنطقة متغيرة من منطقة إلى أخرى فهناك من يبدل حرف **الغاء قاف مثل : غابة** فبدل قولهم **غابة** فإنهم يقلون **قابة** وبدل قولهم **غدا** فإنهم يقولون **قدا** ونجد هذه الظاهرة عند الخرابشة، خلافا لعرش الدريعات فإنهم يحافظون على النطق الصحيح للكلمة،ونجد ظاهرة الحذف في الكلمات مثل حذف **الهمزة** في كأس فبدل نطقه كأس ينطق كاس؛ وهذا ما يعرف **بالقلب** في اللغة، أو حذفها في بداية الكلام فبدل قول **الأمين** يقولون **لمين** أو قلب ياء في **بئر** فتصبح **بير**، ومن التغييرات أيضا نجد **الإدغام** في قولهم **اتزليح** بدل **ازّليح** أي خدع، ونجد أيضا ظاهرة **التخفيف على المستوى الصوتي** ومثاله **هامرة** بدل **يا إمرة** و **هذا الولد ها ولد**، وهذا كله يدخل في الاقتصاد اللغوي في الكلام أو ما يعرف بالإيجاز الذي " لا يذهب الإبانة والفصاحة في كلامهم ، وليس من امة اعتنت بالفصاحة

و البيان قدر عنايتهم بهما حت قالوا البلاغة هي الإيجاز فجعلوا الاقتصاد من حسن المقال"[1]

3-**إشكال التعبير الشعبي في المنطقة** :كما اشرنا سابقا لكل مجتمع تراث يسعى للحفاظ عليه، ويخاف اندثاره لأنه يمثل هويته الشخصية و الاجتماعية ، ويحمل مقومات الشعب الواحد لما يحويه من معالم ثابتة تبرز شخصيته ، و التراث الشفهي الشعبي أو ما يعرف بالأدب الشعبي ، فان منطقة البحث تحفل به فنجد الأمثال و الأشعار و الحكايات قد فرضت نفسها كثقافة لها أسسها و قواعدها رغم الظروف المعيشية الحديثة التي أسهمت إلى حد بعيد في تضاؤلها ، غير أن هذه الثقافة تبقى " أسلوب المعيشة الذي تتعلمه الأجيال الجديدة من الأجيال القديمة عن طريق الاتصال اللغوي و الخبرة بشؤون الحياة "[2] ، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المادة الشعبية قد وجدت طريقها إلى نفوس المجتمعات الإنسانية كما أوجدت لنفسها مكانا مهما في حياتهم ، فلخصت تجارب حياتهم وحكت أيامهم بأسلوب طريف ساخر أوجدته في نكتها وأشعارها وتغنت به كلاما عذبا بحناجر يملاها الأمل، فكيف كانت طبيعة تلك الأجناس يا ترى في منطقة البحث ؟ .

أ-**المثل الشعبي** :لكل امة من الأمم أمثالها التي تمثل مظهرا من مظاهر ثقافتها وكذا عقلية شعبها فكانت الأمثال الشعبية حاضرة في كل المناسبات ، وفي مختلف الأحاديث التي استدل بها كشاهد على كلامهم ، فمثلت خلاصة تجاربهم اليومية في مثل اختصر حادثة طالت أو قصرت أظهرت به نضج ذهنية وقمة التهذيب فيها ، و المثل من الناحية اللغوية مأخوذ من "المثال.وهو قول سائر يشبه حال الثاني بالأول ، و الأصل فيه التشبيه فقولهم مثل بين يديه إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبة ، وفلان امثل من فلان أشبه بما له

[1] - ثريا التيجاني : دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري ، ص77، نقلا عن قطبي الشريف: بحوث في اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1990، ص35.

[2] - علي فؤاد : علم الاجتماع الريفي ، دار النهضة العربية ، د ط ، بيروت ، د ت ، ص13.

الفضل ، و المثال القصاص في تشبيه حال المقتص منه بحال الأول ، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم بالتشبيه بحال الأول كقول : كعب بن زهير

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا أباطيل[1]

وجاء في مفهوم لغوي ؟آخر أن " أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام ، كقولهم : كما تدين تدان ، وهو مثل قولك ، هذا مثل الشيئ وممثله ، كما تقول : شبيه وشبه ، ثم جعل كل حكمة سائر مثلا " [2] .

أما من الناحية الاصطلاحية فالمثل الشعبي " تقطير لقصة او حكاية ، ولا يمكن معرفته الا بعد معرفة القصة او الحكاية التي يعبر المثل عن مضمونها " [3] فهو جملة قصيرة حوت عبارات موجزة " تتميز بأنها تدل على عقل واع وتأمل بعيد،وصنعة ظاهرة في تنميق العبارة وتنسيقها"[4] حملت معاني رفيعة استطاعت أن تصل بها إلى أهداف عظيمة مختصرة لطريق ربما طال بأسلوب يهدف إلى إصلاح السلوك وتقويم الاعوجاج ، مستمدا معانيه من بيئته التي نشأ فيها وكان به " صورة مباشرة لأحوال المجتمع فيه "[5] في حين يعرفه فريد ريك زايلر بأنه " القول الجاري على السنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي ، وشكل أدبي مكتمل يسموا على أشكال التعبير المألوفة " [6] .

وقد قدمت الأمثال سجلا شاملا يحوي عادات و تقاليد المجتمع حاملا في طياته تجارب الحياة اليومية بمحاسنها ومساوئها ، فقدمت الحلول للمشاكل وحاولت معالجتها ، فتراها تعالج " الأخلاق و الحكمة و التربية و التوجيه ، و السخرية و التهكم ، النكتة و الفكاهة ، و العظة و العبرة ، و الحب و الكره ، و الاضطراب و الاطمئنان ، الخوف و الأمن ، السعادة

[1] - الميداني ابي الفضل : مجمع المثال ، دار مكتبة الحياة ، م ج 1 ، ط 2 ، لبنان ، د ت ،ص 13.
[2] - العسكري ابي هلال : كتاب جمهرة الامثال ، دار الكتاب العلمية ، ج 1 ، بيروت ، 1998 ، ص 11.
[3] - التلي بن الشيخ : منطلقات التفكير في الادب الشعبي الجزائري ، ص 155.
[4] - عابدين عبد المجيد : الامثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظرائها في الاداب السامية الاخرى ، دار مصر للطباعة ، ط1، 1957، ص14.
[5] - عبد الحميد بن هدوقة : امثال جزائرية في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج ، دط ، الجزائر ، 1962 ، ص13.
[6] - نبيلة ابراهيم :اشكال التعبير الشعبي ص175، نقلا عن : Andre jolles :Einfache former ;s ;150

و الشقاء ، الخصب و الجذب ، الحرب و السلم ، الحياة و الموت "[1] ، وهذا وان دل فانما يدل على انه حوى تراث ضخم وعريق ابرز ذكاء مبدعه وغزارة فكره ومن هذه الامثال نذكر : – قلب البرمة على فمها تخرج الطفلة لمها .

–كي البرمة كي الكسكاس .

– الخدمة مع النصارة ولا قعاد لخسارة .

هكذا مثلت الأمثال الشعبية "خلاصة تجارب كل قوم،ومحصول خبرتهم وضرب من ضروب التعبير عما تزخر به النفس من علم وخبرة وحقائق واقعية"[2] معبرة عنها بأسلوب بسيط وبليغ حوى وهموم مشاكل شعبه ، وان من أبحر مكنوناتها يدرك مقصدها ، واعتقد أن الأجيال القادمة لن تنظر إليها على أنها قيمة فنية عالية وفقط ، وإنما ستنظر إليها على أنها ثقافة تستحق النظر و التمعن و الاعتزاز بما يتركه السابقون لأنها ماهي " إلا تعبير عن تاريخ وفكر الأمم "[3]

ب الشعر الشعبي:

لا يخفى أن الشعر الشعبي أخذ جزءا مهما في الحياة الشعبية وموقعا في النفوس، وكان وقعه يقع موقعا حسنا أبدعه إنسان امتلك الموهبة الشعرية فنسج كلمات موزونة تناولت قضية شغلت بال الشاعر فحاكاها بأسلوب مسبك جيد العبارة قريب من نفوس الشعب باستعمال مفردات لغوية قريبة من اللهجة الخاصة بكل منطقة؛ أي أنه طبع بطابع بيئته التي نشأ فيها. والشعر ما هو إلا "كلام يمثل قيمة معنوية وجمالية أرقى من مستوى لغة الكلام العادي بما له من مميزات تتعلق بالشكل والمضمون "[4]، وقد عرفه عبد الحميد يونس بأنه " القول الذي يعبر به الشعب عن مشاعره وأحاسيسه أفرادا وجماعات فهو من الشعب وإلى الشعب، يتطور بتطوره وهو غذاؤه الوجداني الذي يلائمه كل الملائمة وليس ينفعه غيره، وهو

[1] - عبد المالك مرتاض : العامية الجزائرية وعلاقتها بالفصحى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د ط ، الجزائر ، 1981، ص112.

[2] - احمد ابو زيد واخرون :دراسات في الفلكلور ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، دط ، القاهرة ، 1972، ص310.

[3] -جمال طاهر ودواليا جمال طاهر : موسوعة الامثال الشعبية (دراسة علمية) ،دط ،د ت، ص24.

[4] - أحمد زغب : الأدب الشعبي (الدرس والتطبيق)، مطبعة مزوار، ط1 ، الوادي، 2008،ص33.

يمتاز عن سواه بسمات نجدها في سائر أنواعه وأقسامه التي تتناقلها الأجيال، وتعتز بها المواطن والشعوب "[1]. كما أن الدارس للشعر الشعبي يلاحظ كثرة المصطلحات المنسوبة إلى هذا اللون الشعبي فهناك من يطلق عليه الشعر الملحون أو الشعر الشفهي وكذا العامي غير أن كل هذه المصطلحات والتسميات تندرج كلها تحت غطاء واحد وهو الشعر الشفهي، وهذا ما جعل أحمد زغب يخرج بنتيجة مفادها أن كل هذه المصطلحات تندرج ضمن مصطلح عام هو الشعر الشفهي"[2]

فمواضيعه ارتبطت بمختلف الأفراح والمناسبات الدينية التي ترجمت إلى قصائد شعرية منها من أصبح على شكل مديح ومنها من أستعملت كأغاني في الأعراس والأفراح فلا " تكاد تغفله جماعة من الجماعات البشرية في أرجاء العالم جميعا، سواء في فترات تاريخية أو ما قبل التاريخ، فالتغني بالمناسبات الاجتماعية المختلفة مظهر قديم نراه في أوساط قبائل إفريقيا الوسطى حتى اليوم، وليس لدى الشعوب المتحضرة فحسب"[3]

منطقة البحث لا تحفل بشعراء معروفين، وإنما يتواجد فيها الشعر الشعبي من مخلفات الزمن وأعني بذلك ما حفظه الآباء عن الأجداد في القديم وبقي يسري بينهم ولا يتعدى في بعض الأحيان بيتا أو بيتين، ترجع في معظمها إلى الشيخ المجذوب وأذكر منه:

سُوقْ النِّسَاء سُوق مطيارْ يَا دَاخَلْ رُدْ بَالك

ايُوَرُولَك مَنْ الرَّبِحْ قُنْطَارْ أو يَدُولك راس مالك

ومن شعراء منطقة حمام الضلعة نجد **سعد الله المبروك** الذي ينظم الآن كتابة الشعر الشعبي حيث طرح العديد من القصائد التي بثها عبر أثير إذاعة الحضنة – المسيلة – أذكر منها قصيدة **ألم الأم** حيث يقول فيها:

سبحانك يا خالقي واهب الحياة ولعبادك سخرتها بيها تنعم

وافرضت بحياتنا حق الممـات وامهما طول اعمارنا بيها تختم

الى غاية قوله:

---

[1] - عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب ،دط، القاهرة، 1982، ص 10/11

[2] - أحمد زغب جمالية الشعر الشفاهي نحو مقاربة أسلوبية سيميائية للنص الشعري الشفاهي، دكتوراه جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر ،2007/2006 ،ص52.

[3] - التلي بن الشيخ منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، ص 11.

كوني خلقة صابرة على ذ المحنات رب راه يأجرك عالي يعلم
واطوي كل محاين الماضي اللي فات قيلي ذ الأحزان حالك يتسقم

ويمكن القول في الأخير أن الشعر الشعبي لا يزال يعيش في أفئدة الشعراء والرواة، ورهين كراريس حملة التراث التي تنتظر من يقوم بنشرها والتعامل مع نصوصها كما تعامل القصيدة العربية شكلا ومضموننا، فلكل شكل شعري جانبه المميز الذي يدعوا إلى التمعن فيه.

ج – **الحكاية الشعبية:** الحكاية الشعبية لها حظ وافر من ليالي المجتمع الحمامي، الذي عكف على روايتها في مختلف نشاطاته ومناسباته فأنشدها في الأسواق والمقاهي وفي الحقول أثناء عمليات الحصاد " فهي تروى في المنازل، وأماكن التجمعات أو خلال الاحتفالات الدينية في الطرقات أو في الأسواق، ويتنوع رواتها ما بين الهواة الذين يروون القصص للكبار والصغار، دون مقابل"، غير أنني أثناء بحثي هذا لم أعثر على رواة محترفين بل مجرد رواة عكفوا على روايتها عن طريق التوارث فأصبحت كخزان فكري شفهي لازم مخيلتهم طوال هذه السنين عبر "على" ثقافة المجتمع السائدة فيه أو التي انبثقت منه، ونفسيته المتمثلة بتلك الثقافة أو جزء منها واستخلاص أوضاع اجتماعية وتاريخية وعادات وتقاليد ومعتقدات ومفاهيم، وما يحبون وما يكرهون وما يتمنون وما يستعملون في بيوتهم وأعمالهم، وما يلبسون وما يأكلون ومخاطبتهم ومحاورتهم، ومجاملاتهم وتحياتهم" تعددت الحكايات في المجتمع الحمامي ولكن الغرض يبقى واحد ، وفي المجتمع الحمامي تتعدد الحكايات بتعدد الموضوعات التي شغلت بال أفرادها ، فحاكوا جملة منها معبرين فيها عن أوضاعهم ونمط حياتهم .

د–الأغنية الشعبية :تعد الأغنية "... شكل أدبي يودعه الشعب قيمه الحضارية في انفعال صادق " [1] ويؤدي هذا النمط من الأشكال التعبيرية وضيفة مميزة في حياة الشعب ، غير أن أهم ميزة للأغنية هو الاختلاف في طريقة الأداء على غرار الأنواع التعبيرية الأخرى ، فهي تتطلب الكلمة و اللحن حتى تؤدى ، وجل الأغاني الشعبية هي تصوير للحياة الاجتماعية في أعمالهم وأفراحهم وتكافلهم ، تعمل على إدخال الفرحة و السرور في شتى المناسبات ومن بين هذه المناسبات التي أنشدت فيها الأغاني الشعبية نجد :

[1] - نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير في الادب الشعبي ، ص151.

أغاني عملية الحصاد :

لا اله الا الله

حمات القايلة حمرة كي منجلي

اذا عييت نندە ربي و النبي [1]

أغاني التويزة :

الصلاة على النبي

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم

ذراري شبان صغار

طاحو في قمح مسبل

حطوه قمار قمار

الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم[2]

أغاني الاستنجاد بالولي الصالح:

الطريق المعلومة تبان

اللي شقت لجبال

اللي من زارك يذاك الوالي ايروح فرحان[3]

أغاني الأعراس:

صلوا على محمد ، صلى الله عليه وسلم

ولي ما صلاش على محمد ، ما شلالي بيه

انا قاعدة في عطيل واعجبني نوارو

هاذي مرتك ياوليدي من البنات اختارها

عقبنا على الجنينة واعجبني نوارها

هاذي مرتك ياوليدي للي تختارها

---

[1] - الراوي : عزيزي عمر .

[2] - الراوي : طيهار العربي .

[3] - نفسه .

احنا جبناها و الطاكسيات يرعدوا وخمسة في عينين لعدو

أغاني الثورة :

ياعميروش يا لعزيز على اموا...هاز الستيلو في يدو والحطبة في فموا

يا الجندي خويا ماتعديش عليا ... لا جيك فرانسا وفرانسا الذلية

يا الجندي خويا ماتعديش على الواد ... لا جيك فرانسا تضرب بالرافال

يا الجندي خويا ماتعديش على الغار...فرانسا الخبيثة سماتو فلاق.

وفي ختام هذا الشكل التعبيري وجدنا بان هذه الأغاني قد تراجع دورها في العصر الحالي وحلت محلها أغاني حديثة وعصرية طمست هذا النوع من الأغاني ، خاصة في حفلات الأعراس التي كان يستعمل في ها قديما الغناء بالبندير و تجتهد فيها حناجر النسوة لتؤدين أجمل ما يحفظن جماعات جماعات تتقدمهن امرأة وتردد خلفها جماعة من النسوة ، غير ان الوسائل الحديثة قد جعلت من هذا النوع يتراجع بل يندثر إن صح التعبير وغلب عليه كل ما هو عصري (اسطوانات مدمجة ، الديجي) .

هـ-النكتة الشعبية :النكتة من أكثر الأشكال التعبيرية انتشارا في منطقة البحث ، نتيجة لطابعها المرح وقصرها ، الأمر الذي يسمح بترديدها في كل زمان ومكان ، فهي لا تحتاج إلى تهيئة جو من اجل إلقائها ، بل تغلب عليها العفوية فقد عدت من " أكثر الأنواع الشعبية جريانا على الألسن "[1]

و النكتة قد تخرج من وظيفة الترفيه إلى وظيفة أخرى مثل التغيير و الاصطلاح وترد في العادة على شكل حكاية ، أو عبارة تثير الضحك الذي يحمل معنى التهذيب .

غالبا ما تسخر النكتة من مقالب تقع يوميا فتكون بذلك وسيلة لتقبل هذا الواقع بصدر رحب ، معبرة عن الاحتياجات بطريقة ساخرة وجد فيها الأفراد منبرا للترويح عن أنفسهم من الضغوط التي تفرضها قساوة الحياة ، فاقبلوا عليها واستمتعوا بها بالرغم من سخريتها اللاذعة في كثير من الأحيان ، غير أن هذا لا ينفي عن النكتة الطابع الذي تمتاز به وهي سرعة الانتشار وكذا سرعة الاندثار و الزوال فهي ابنة زمانها ، فما يروى اليوم ينسى غدا .

[1] - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي ،ص173

هكذا تعيش النكتة حالة التجدد الدائم و المستمر في نفوس مبدعيها الذين يحاكون حياتهم بحلوها و مرها فيبدعون أروع النكت التي تكون مدعاة للضحك و التفريج عن الأفراد في ظل ضغوط وقسوة الحياة لتخرج بهم إلى عالم المرح و السخرية.

و-الألغاز الشعبية :يعتبر اللغز الشعبي من بين أنواع الأشكال التعبيرية رواجا واستخداما في المنطقة وهو ضارب في القدم مثله مثل الأشكال التعبيرية الأخرى كالمثل و الحكاية وغيرها ، حيث لم يعد استعمال اللغز مجرد سؤال يراد منه معرفة كنهه و ما هو الشيء المخفي خلف عباراته، بل عد جنسا أدبيا استحق الدراسة والتحليل فعومل معاملة المثل والحكاية حيث طبيعة الاهتمام، ولا يخفى علينا بأن اللغز "خطاب لغوي يمتاز بالغموض والالتباس و الأشكال والالتواء في بنيته اللغوية الشكلية "[1] ، يتطلب مقدرة ومعرفة واسعة للتمكن من حل رموزه فحله ليس بالشيء الهين، فهو يتطلب ذكاء ومعرفة شاملة وسرعة في البداهة وثقافة واسعة

و مبدع الألغاز هو إنسان عارف قادر على توظيف مسميات الحياة والطبيعة بأسلوب يتطلب قدرة عالية في الإبداع اللغوي وقمة في التصوير الإيحائي يحاول بذلك أن يختبر بها ذكاء أهل قومه ومدى قدرتهم على فك رموز الكلام، في كلمات مسجوعة يسهل حفظها وتداولها بين الناس فهي تلقى على شكل " أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم بعضا، والقاعدة فيها أن يورد اللغز في شبه سؤال منظوم أو مسجوع عن شيء تذكر صفاته البعيدة أو القريبة، ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بإعمال شيء من الفكر الاهتداء إلى موضوع السؤال"[2]

والألغاز " تلقى عادة في المجالس العامة والخاصة "[3]من أجل تطرية الجو في العادة وأحيانا أخرى تكون حافزا للتنافس والتّراهن بين الناس فيقومون بالرهان فيما بينهم على شيء ما ومن يظفر بحل اللغز يأخذ الشيء المتراهن عليه في جو قد يصل في بعض الأحيان إلى حد

[1] - محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 98.

[2] - محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس الدار التونسية للنشر، دط ،1967، ص 42.

[3] - نفسه: ص 42 .

الشجار خاصة إذا تدخل طرف ثالث وأعطى تسهيلات لحل اللغز المطروح.

ولا يخفى علينا أن الألغاز قد عرفت منذ القدم ومن أمثلة ذلك الألغاز التي قامت ملكة سبأ بطرحها على سيدنا سليمان"[1]، وكذلك نجد لغز الملك أوديب الذي أرهق سكان بلدته طيبة وجعلهم يعانون من عدم إيجاد حل لهذا اللغز المحير الذي طرحه الوحش عليهم، إلى أن تقدم أوديب في ذلك اليوم وفك سره وخلصهم منه وأصبح بذلك ملكا عليهم.

وقد نجده في بعض الأحيان كاستهلال في بداية الحكايات يطلب الراوي من مستمعيه أن يقوموا بحله قبل أن يشرع في سرد نص حكايته وهو ما يعرف أو يطلق عنه لفظ المحاجية أو الأحاجي "حاجيتك مَا جِيْتكُ الطَرْشَة أَجِيب الخبر مُنِينٌ كَانُ، وَالعُمْيَة اتخيط الكتانُ والعَايْبَة و العايبة اتنط الكيْفَان" كما مثل اللغز في بعض الحكايات اختبارا لشخصية البطل، فإن استطاع القيام بحله أكد تفوقه العقلي بالإضافة إلى العضلي فالبطل أو الفاعل عليه أن ينجز كل المهام التي توكل إليه، ويتجاوز كل العقبات التي تعترض طريقه ... فهو يذهب إلى أماكن لا يتسنى الوصول إليها، ويجيب على أسئلة تتعذر الإجابة عليها[2]."

من هنا فإن فن الألغاز التي" تكتظ به الآداب الشعبية ، وتتردد على ألسنة العجائز، ويتسلى به الفتيان والصبايا في مجلس الأنس، ويتبارى في حفظه وتحصيله ومذاكرته للأطفال في البوادي والقرى خاصة؛ ليس ينبغي أن يكون ترفا ثقافيا لا يعني خيالا إلا جامحا وتسلية عابرة؛ بل إننا نجد للغز دلالات عميقة: تعني الحضارة والتاريخ وتعني التربية والتعليم وقلما تكون غايته سطحية عابرة، فحتما يفترض أن يكون لكل لغز هدف "[3].

غير أن الذي حدث للغز في عصرنا الحالي أنه لم يعد ذا قيمة بالغة كما كان قديما، بل أصبح عبارة عن ألغاز اشتملت على التهكم من الأشخاص الأغبياء فأصبح مجردا من سمته الأصلية التي تعبر عن مفهومات عميقة أو مواقف غامضة واكتفى بالسخرية ومثاله : (

[1] - نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 194/195.

[2] - غراء حسين مهنا: أدب الحكاية الشعبية، ص86/85

[3] - عبد المالك مرتاض : الألغاز الشعبية الجزائرية (تحليل لمجموعة من الألغاز الجزائرية)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2007، ص 21

حَاجَة بَيْضَةٍ وَفِيْهَا الصُّوف؛ النَّعْجَة ، زُوجُ أَحْوَايَجْ كي اسْمُهُمْ كيْ لَوِنْهَمْ ؛ زُوجٌ بَيْضَاتُ)

فالعصر الذي نعيش فيه لم نفتقر للألغاز وفقط بل نفتقر للذي له مقدرة على حلها، فقد أوشك أن يختفي مع عصر الحضارة الذي نعيشه، ولم يختف اللغز وحده ولكن المقدرة على حل اللغز أوشكت كذلك على الاختفاء... ونسي في زحمة المدينة وزحمة متطلباتها، أن اللغز وسيلة أساسية للتربية. ذلك لأنه يعلم الأطفال والكبار معا كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي[1]."

ونصوص الألغاز تعددت بتعدد الموضوعات فمنها ما هو متصل بالطبيعة والإنسان، ومنها ما هو متصل بسائر أنواع الحيوان...الخ .

4- واقع الحكي في المنطقة ومدى الاستجابة له: يختلف واقع الحكي في المنطقة عما كان سائدا قديما، فقد اعتبرت قديما من بين أكثر أنواع الأشكال التعبيرية بروزا وحضورا في ثقافة المجتمع الحمامي ، لعكوفه على روايتها في مختلف مناسباته فجعل منها وسيلة للخلق و البعث و الترفيه ، ولم تكن حكرا على الرواة المحترفين بل ساهم في روايتها كل من امتلك الموهبة فقام بروايتها الكبير و الصغير ، المرأة و الرجل .

و الحكايات الشعبية غاصت في الحياة وتغلغلت في جوانبها ،فتعددت موضوعاتها التي بثت فيها واقعها وحلمها ورغباتها مع شيئ من الخيال الهادف لتصبح بذلك نص قادر على جذب الانتباه ، فلما وجدت الحكاية بهذا الشكل احتفت بها الشعوب واستقبلتها جيلا عن جيل وصدقت أحداثها الغريبة التي اكتنفها في كثير من الأحيان متناسين بذلك التحكيم العقلي الذي لا يسمح بتصديق واستيعاب مثل هذه الأحداث التي لا مجال للصحة فيها فانتقلوا من " عالم يحكمه منطق الحياة العملية و الجدية ، للالتحاق بعالم خاضع لمنطق مغاير لا يخضع لنفس القواعد ويتميز بالغرابة و الفعل الخارق ويرمي إلى الإدهاش ،ومعايشة مختلف

[1] - نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 202.

المواقف المتناقضة و القوى المتصارعة "[1] ، غير ان طبيعتها الفنية وتنوعها وتفردها جعلها تستند إلى الخرافات تارة والى الأساطير تارة أخرى ، ثم تجنح إلى الواقع المعاش لتربط كل تلك الأحداث و تمزج هذا الكل المركب وتدرجه في حكاية لها صلة بالواقع الاجتماعي ويغلب عليها الطابع الخرافي .

لقد مثلت الحكايات قديما دورا مهما في حياة الشعوب التي أبدعتها ، فجعلت منها وسيلة للتربية و التنشئة الحقة بأسلوب ممتع يغلب عليه الترفيه الهادف . فتقدم النصيحة و الموعظة بأسلوب يشد انتباه السامع فيتعض ويتسلى في الوقت نفسه ، فلجا واليها وقت الحاجة واستطاعوا من خلال هذا اللون الأدبي ان يحفظوا لغتهم ، ويتمسكوا بتعاليم دينهم المبثوثة في مختلف النصوص ، وانه لا بد أن يحاربو من اجل البقاء في وطنهم الذي خلقوا فيه ، فاستقراء التراث الشعبي من خلال نصوصه يكشف لنا عن " وجود بعض النماذج من هذا التراث السياسي و الثوري بالنسبة لفترة بعينها من الزمن في بيئة بعينها "[2] ، فمضمون بعض الحكايات قد حاكى معاناة الشعوب من الظلم الاستعماري الذي قيدها وكبلها فعبرت عنه الحكايات الشعبية بلفظ الغول و العفريت ، غير أن الإرادة كانت حاضرة في ضرورة التخلص من الاضطهاد الحاصل ، فجاءت معظم الحكايات حاملة لنصرة المظلوم أينما وجد سواء كان أبطالها على شاكلة إنسان أو حيوان ، فالمهم عند المبدع الشعبي أو الراوي أن يكون قادرا على اتصال الرسالة التي تحملها حكايته إلى نفوس متلقيها ، فنشأت المجتمعات كارهة للظلم منشدة للحرية الأبدية كارهة لكل مظاهر العبودية ، بهذا تكون الحكايات قد أزالت عن المواطنين كاهل المعاناة اليومية ، فبحثو في الحكايات عن مجدهم الضائع في صورة البطل الشعبي الذي استطاع أن يتخلص من مكر الغيلان ، فأسقطت الشعوب همومها على نصوص الحكايات ، فمثل هذه المرويات قد بعثت على روح المقاومة وأججت لها .

[1] -عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطل الضحية في الادب الشفوي الجزائري ، ص143.
[2] - عز الدين إسماعيل : القصص الشعبي في السودان (دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها) ، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، دط ، القاهرة ، 1971، ص189.

وبفضل أهل المنطقة أن يكون الراوي شيخا وهذا رغبة منهم في تصديق الأحداث الجارية في متن الحكاية، ومن أجل أن يخلق لديهم نوعا من الوهم بأن هؤلاء الشخوص قد وجدوا في مكان ووقت ما، وأنهم ربما قد عاشوا هكذا فعلا مما يجربهم إلى التصديق بالأحداث الجارية وبمصداقيتها وواقعيتها، فيحدث بذلك انفصال تام بين العالم الواقعي الحالي ويربطون اتصالا بعالم لا واقعي يعشقون أحداثه فيهللون لعظمة ما يسمعون ويستغربون من ذلك وهم في حالة من الذعر أحيانا خاصة إذا تعلق الأمر بفئة الأطفال، فعلى حد قول إحدى النساء أنهن كن يستعن بالحكايات لتخويف أبنائهن إذا أساءوا التصرف؛ فالمعروف أن عقول الأطفال تلجأ إلى تصديق عالم الحكاية العجيب فتعتقد بوجود مملكة الجن والغيلان ، وبوجود البساط السحري، والحصان الطائر، وما إلى ذلك من الأمور الغرائبية.

غير أن واقع اليوم لم يعد يسمح برواية هذا النوع من الحكايات وذلك بسبب تعاظم وسائل الإعلام الحديثة من تلفزيون وانترنيت و هوائيات مقعرة التي عملت على إزاحة وتهميش الحكاية الشعبية من مكانتها الاجتماعية، فتناست المجتمعات هذا التجمع العائلي الذي جعل من القرية أسرة واحدة قديما، وقضت على الحلقات التي كانت تعقد زمان في الليالي لأجل السمر، وأن تناولها ما هو إلا ضرب من الخيال، فبدأت الحكاية في الاختفاء والأفول من منطقة البحث لتختفي تدريجيا، وأصبحت عناوين الحكايات كأمثال تضرب وفقط وإذا سألته عن مضمونها فتحده لا يعرف محتواها ، والسبب الآخر أيضا في تراجع دور الحكاية الشعبية وفقدان مكانتها في مجالس الأنس والسهرات العائلية هي الحياة العملية لمختلف الأسر الحمامية.

في الأخير أقول لو أن أهلها عملوا على تطويرها بما يناسب طبيعة الحياة السائرة اليوم لما غيبت نصوصها عن مجتمعات اليوم، بل قد نجدها تحجز لنفسها مكانا رائدا في خضم هذا التطور الحاصل ، وأن هناك من مازال يؤمن بالقيم السامية التي تحملها نصوصها وأن لكل

شعب مهما ارتقت حضارته وتقدمت وسائله وعلومه رصيد من التراث الثقافي و الشعبي الذي يصل حاضره بماضيه"[1] دائم

[1] - مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية : عدد خاص : الملتقى الاول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري عنوان المقال : الانصهار الثقافي الامازيغي العربي في منطقة الاوراس وتأثيره في هوية السكان : امزيان وناس ، جامعة باتنة ، ص 449.

ماهية الحكاية الشعبية

أ- تعريف الحكاية لغة

ب- تعريف الحكاية اصطلاحا

ج- مصادر الحكاية الشعبية

د- وظائف الحكاية الشعبية

1-مفهوم الحكاية الشعبية

أ-لغة : ورد في معجم لسان العرب : الحكاية " من حكى الحكاية ، كقولك حكيت فلانا ، وحاكيته فعلت مثله ، أو قلت مثل قوله سواء ، أو أجاوزه ... و المحاكاة المشابهة ، نقول فلانا يحكي الشمس حسنا ويحاكيها أي يشبهها في الحسن و الجمال "[1]

أما في معجم قاموس المحيط فورد " ... و الحديث احكوه كحكيته احكيه وحكيت فلانا وحاكيته شابهته فعلت فعله أو قوله سواء ، وعنه الكلام نقلته ".وقال أيضا:"حكى عنه الحديث يحكوه حكاية ..وحكى عن فلان كذا نقله ،والخبر وصفه ، وفلانا شابهه وفعل فعله أو قال قوله سواء ، وتساهل قوم في إطلاق لفظ الحكاية بمعنى أخبار ...وحكاية الحال الماضية في عرف العلماء أن يفرض ما كان في الزمان الماضي واقعا في هذا الزمان"[2].

هذا المعنى الأخير يقترب من مفهوم الحكاية الشعبية اصطلاحا.

ب -**اصطلاحا :**

انه من الصعوبة بمكان إعطاء مفهوم موحد أو تعريف جامع مانع للحكاية الشعبية ،على الرغم من ارتباطها بالواقع الاجتماعي و النفسي للإنسان الشعبي ، إلا أنها لم تنل حقها من الدراسة و البحث و التنقيب ، وحتى الدراسات التي تمت كانت نادرة و تتصف بالعمومية و السطحية و تربط النص بالسياقات الخارجية.

ولذلك فقد انفرد العديد من الباحثين و انبروا لإعطاء مفهوم يرونه مناسبا للحكاية الشعبية ، فقد عرفتها نبيلة إبراهيم على أنها " قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم ، وان هذه

[1] -ابن منظور ، لسان العرب المحيط : دار لسان العرب – بيروت – مادة (ح ، ك ، ي) .
[2] - الفيروز ابادي ، قاموس المحيط ، مادة (ح.ك.ي).

القصة يستمتع الشعب بروايتها و الاستماع إليها إلى درجة انه يستقبلها جيل بعد جيل عن طريق الرواية الشفهية "[1]

2- مصادرها :

من أهم مميزات الحكاية الشعبية كثرة المصادر وتنوعها تلك التي يستقي منها الإنسان الشعبي المادة الأولية الخام والتي يكيفها حسب الظروف المحيطة به وحاجاته النفسية وتركيبته العقلية وثقافته المحلية ثم يقوم باستنفاذها فيما بعد في شكل كتلة أو كم سردي وصور تعبيرية يمتزج في الواقع باللاواقع والحقيقة بالخيال والتاريخ بالسطورة والمنطق باللامنطق والنظام بالفوضى , ساعية إلى القبض على الطموحات المفقودة في الواقع المعيش .

2-1- الرواة :

يعتبر الرواة من أهم مصادر الحكاية في منطقة حمام الضلعة خاصة كبار السن الذين أكسبتهم السنين خبرة وحنكة بالحياة ودراية بأمورها وتقلباتها , إضافة إلى أنهم عايشوا شخصيات تاريخية حقيقية نقلوا حكاياتهم وسيرتهم البطولية وأيضا عاشوا في حقب زمنية سابقة مكنتهم من حضور أحداث وقعت في تلك الفترة وبالتالي نقلوا لنا أخبار واقعية فيها كثير من المصداقية التاريخية , كما يخول لهم كبر سنهم تكييف تلك الحكايات مع طبية المجتمع الذي يعيشون فيه اي حسب عاداتهم وثقافاتهم ودينهم الإسلامي وسلوكاتهم اليومية , خاصة منها تلك الحكايات الموغلة في القدم مثل حكاية " الجازية الهلالية وذياب" و "ارداح مزايد" وحكاية " بقرة اليتامى "إضافة إلى حكايات الأولياء وكراماتهم والتي يستحيل على الجيل الجديد روايتها بمفرده بكامل جزئياتها والإلمام بحيثياتها , لأنهم لا يمتلكون خبرات ثقافية كالتي يمتلكها هؤلاء الرواة .

[1] -نبيلة ابراهيم ، اشكال التعبير في الادب الشعبي ، دار مكتبة غريب للطباعة –القاهرة-،ط2، ص 119.

والرواة نوعان المحترفون الذين سبق الحديث عنهم ورواة مبدعون وهم الذين يحفظون الحكايات عن الرواة المحترفين ثم يقومون بسردها لكنهم قد يحرفونها بالزيادة أو بالنقصان مع محافظاتهم على الأصل الأول للحكاية .

وتعتمد الرواية على الذاكرة وحدها مع الأخذ بعين الاعتبار نوعية الجمهور المتلقي , وهم " في رحلتهم مع الرواية يتفاوتون فيما بينهم فيما يخص اتساع حصيلتهم من التراث القصصي , ومواهبهم الفيزيولوجية التي تتعلق بالهيئة والصوت وملامح الوجه , وسيطرتهم على أدواتهم الفنية في عملية القص وقوة ذاكرتهم وقدرتهم وجرأتهم على الخلق والإبداع والتجديد , وتلعب كل هذه القدرات دورها في جذب انتباه الجماعة ودمجها في الجو الذي تخلقه القصة " [1].

وعادة ما يكون الراوي قد تلقى هذه الحكايات من الأسرة كالجد والجدة ثم الآباء والإخوة , أو من الحي أو من الأماكن التي تكثر فيها التجمعات كالأسواق الأسبوعية التي تقام بالمنطقة أو في المقاهي , أو إثناء الاحتفالات مثل مراسيم الزواج والخطوبة حيث تتم عملية الاحتفال بالطريقة التقليدية كحلقات الذكر لدى الرجال والضرب على آلة الدف والبندير تصاحبها رقصات الرحابة حيث يصطف الرجال في صفين متقابلين مرددين موشحات ومدائح دينية , ويستريحون من حين لآخر لسماع بعض الحكايات عن الزواج و التقاليد أو قصص الأنبياء والسير والملاحم والحكايات ذات الطابع التاريخي , خاصة التي تخص تاريخ المنطقة، واهم العائلات التي قطنتها وسلالة الأنساب التي تنحدر منها هذه العائلات حيث " تتناول هذه الحكايات التاريخ الماضي وفي كثير من المجتمعات التي ليس لها أشكال ادارية مركزية تحل هذه الحكايات محل التواريخ العامة , وكثيرا ما تكون هذه الحكايات العائلية مجرد حصيلة لسلاسل الأنساب , إنها تشرح لماذا انفصل فرعان من عائلة واحد ولماذا لا يعيشان مع بعضهما البعض "[2]

---

1. - عبد الحميد بو رايو , القصص الشعبي في منطقة بسكرة , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , د ط, ص 114 .
2. - يان فانيسا , المأثورات الشفاهية , ترجمة احمد مرسلي علي , دار الثقافة للطباعة والنشر , القاهرة , دط , ص 114 .

ويستجيب الجيل الجديد (جيل الشباب) استجابة واسعة وواعية لماضي أجداده وأنسابه فيدغدغه الفضول لمعرفة أصله وفصله والعرش الذي ينحدر منه , فنراه يكثر من الاستفسارات فيجيبه الراوي بحكايات تثبت صحة قوله وادعائه .

وكذلك من أهم المناسبات التي يحبذها الناس , وينتظرها الرواة بفارغ الصبر هي ما يسمى بالزردة السنوية الخاصة بالأولياء الصالحين والتي يأتيها الناس زرافات ووحدانا من كل أنحاء المنطقة وحتى من خارجها , وتدوم مدة يومين إلى ثلاثة أيام بلياليها فتكثر التجمعات ويحلو السهر في مثل هذه الأجواء الخرافية التي لا تتكرر إلا مرة واحدة من كل سنة وتكون الحكايات الشعبية المختلفة تتعلق أكثر بالولي الصالح الذي تقام من اجله الزردة هي أميرة الليالي الثلاث حيث يجد الرواة الفرصة السانحة لإظهار قدراتهم ومواهبهم الفذة في الحكي وشد إسماع الجمهور المحيط بهم .

2-2- واقع الناس :

يعتبر الواقع اليومي المعيش للناس المنبع الثري والمنهل العذب الذي لا ينضب معينه حيث يجد فيه الرواة ضالتهم ويغترفون منه بالقدر الذي يروي غليلهم وتعطشهم الدائم , وتطلعهم لمعرفة أسرار الحياة وكنه الوجود , ومتاعب الإنسان اليومية وهمومه وقضاياه الاجتماعية المختلفة التي ما فتئت تقض مضجعه وتشغل باله . وتتلون الحكايات بالواقع اليومي للإنسان والظروف التي يحياها , كما يحملها مسؤولية البحث عن الحل لمشاكله ومعاناته مرغما إياها على طرح معادل موضوعي لهذه الحياة إي الواقع البديل الذي يحمل معه الخلاص , ويفتك منها وعدا بغد أفضل ومستقبل واعد وعالم آخر ترتاح فيه الروح ويهدا الضمير , انه عالم يتمناه الجميع حتى وان كان هذا العالم مجرد حلم يصعب تحقيقه لكن " يكفينا من ذلك الواقع أن يبقى حلما نتصوره , ونحيا من اجل تحقيقه " [1]

[1]- التلي بن الشيخ , منطلقات التفكير في الأدب الشعبي , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , د ط , ص 114.

ومعظم الحكايات تعري الواقع وتفتته تارة وتندمج فيه تارة أخرى كما إنها تمثل شكلا من أشكال الهروب من الواقع المعيش ومشاكله اللامنتهية المعقدة , فينفس فيه عن ذاته التعيسة المقهورة ويبحث من خلالها عن نموذج للحياة السعيدة المرجوة . لذالك نجد أن الشعب ينبش في ذاكرته الجماعية وارثه الثقافي عن أبطال غيرو مجرى التاريخ وتحدوا الواقع المزري وانتصروا في الأخير حيث يحاول الشعب من خلالهم إلغاء واقعه وتجاوزه إلى آخر أفضل منه , أو يلجأ إلى إسقاط واقع الحكاية على واقعه الذي يعيشه ويأمل في مواجهة الظروف القاسية بعزيمة فولاذية وثقة في المولى عز وجل , على غرار أبطال الحكايات حتى يتسنى له مواصلة الحياة بحلوها ومرها وقد تسعفه الأقدار لينتصر عليها , فالحكاية الشعبية " التي تتخذ مادتها من عناصر الواقع المعيش الذي يحياه الشعب تصور موقفا من هذا الواقع يطمح الإنسان الشعبي عن طريقه إلى مراقبة هذا الواقع وتوجيهه " [1]

كما تتطرق الحكاية الشعبية بمنطقة حمام الضلعة إلى الحديث عن حياة المجتمع في القديم بشتى جوانبها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية كالفترة التي عاشها إبان الاحتلال الفرنسي وما عاناه سكان المنطقة من اضطهاد وقهر وذل وحرمان , وعن كفاحه المرير ضد هذا المستعمر المغتصب الغاشم وتحدي السكان له وصمودهم في وجهه واستماتتهم في الدفاع عن بلدهم وذويهم وتمسكهم بالأرض الطيبة التي أنجبتهم .

ويتناول البعض الآخر من الحكايات حياة الشعب غداة الاستقلال وصولا إلى الحديث عن مشاغله اليومية والتطور الذي يشهده والأحداث الناشئة عن الصراعات الاجتماعية , وأحداث الحياة الجديدة ومشاكل العمال في المعامل والفلاحين في الحقول إلى جانب دور الإنسان في التنمية الاقتصادية والتطور الاجتماعي والثقافي الحاصل ... الخ

وهي إن عرضت إلى وجهين من الحياة في القديم والحديث فهي تسعى لإقامة مقارنة بينها ليأخذ الجيل الجديد العبرة من تاريخ أجداده ويعرف قيمة الحرية وثمنها الباهظ الذي قدمه

[1]- عبد الحميد بو رايو , القصص الشعبي بمنطقة بسكرة , ص 125 .

الأوائل من اجل استرجاع السيادة والكرامة والعزة التي ينعم بها حاليا ويسعى دوما للحفاظ عليها , وهذا حتى يظل الشباب متمسكا بماضيه المشرف وتراثه العريق ودينه الحنيف .

والإنسان الشعبي يختار بطله دائما كامل الأوصاف , مقتربا به من عالم المثل والكمال وما البطل الشعبي سوى تعويض نفسي يلجا إليه أفراد المجتمع ليحقق له كل طموحاته وآماله العريضة التي يعجز عن تحقيقها على ارض الواقع .

لقد عبرت الحكاية الشعبية في منطقة حمام الضلعة ومن خلالها الانسان الحمامي عن بعض المظاهر والعادات التي انتشرت في المجتمع والظروف التي ساعدت على انتشارها مثل الطبقية والفوارق الاجتماعية كالمفاضلة بين الغني والفقير والحرمان والاضطهاد الذي يرفل فيه هذا الأخير ،كما تصور الظواهر السيئة السلبية التي تضرب بجذورها في أعماق المجتمع ويؤمنون بها إيمانا راسخا لا يتزعزع وتؤثر تأثيرا ملحوظا على حياة الناس كالاعتقاد في السحر والشعوذة , ووجود الجن , والأولياء الذين لديهم من القدرات ما يؤهلهم لارتقاء مرتبة الولاية والتأثير على العقول و النفوس .

وعليه نقول أن الإنسان الشعبي في منطقة حمام الضلعة وجد في الواقع الذي يعيشه مرتعا خصبا لخياله ومقيلا وارفا لأفكاره وتطوراته عبر عنها في حكايات شعبية خالصة نابعة من عمق أعماقه .

2-3- كليلة ودمنة

منذ أن قام ابن المقفع بترجمة كتاب كليلة ودمنة الهندي الأصيل من الفارسية إلى العربية والناس تتهافت على قراءته والأمم تتنافس على ادخاره لما عدوه من اثر فني رفيع المستوى , فحرصت كل امة على ترجمته إلى لغتها " فهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال و الأحاديث التي التمسوا بها ابلغ مما يجدون من القول في النحو الذي أرادو , ولم يزل العقلاء من أهل كل زمان يلتمسون أن يعقل عنهم ويتحايلون لذالك بصنوف الحيل ,

ويطلبون إخراج ما عندهم من العلل فدعاهم فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب , ولخصوا فيه من بليغ الكلام ومتقنه على أفواه الطير والبهائم والسباع .[1]

وقد اثر هذا الكتاب بحكاياته المختلفة والتي جرت على السنة الحيوان , تأثيرا واضحا على الأدب العالمي والعربي لما يحتوي عليه من قيم أخلاقية عالية , متتبعا منهج الوعظ والإصلاح لأنه وضعه أساسا لتقويم تصرفات الملوك وأفكارهم حتى يستقيم حال الرعية , ومن ثمة برزت إلى الوجود عدة أعمال أدبية إبداعية اتبع فيها أصحابها نفس طريقة هذا الكتاب وذلك بوضع الحكايات والأفكار والحكم والفلسفة الاجتماعية على لسان الحيوان " حيث تظهر فيها الحيوانات في صورة شخصيات تتحدث وتتصرف كالآدميين ولو أنها في العادة تحتفظ بخصائصها الحيوانية , ولها بحكم أغراضها اتجاه أخلاقي" .[2]

ولم يلبث هذا الأدب أن تطور ليشمل أدب العامة ويدخل عالم الطبقة الشعبية ليحملوا الحيوان مسؤولية التعبير عما يعتور أنفسهم ويتأجج داخل وجدانهم من آمال وآمال وطموحات وخيبات .

وتاريخ الشعوب يؤكد على أن حكايات الحيوان وجدت عندها جميعا على اختلاف أنواعها وتباين مشاربها وبيئاتها , وكان للشعوب العربية نصيب كبير من هذا النوع من الحكايات حيث " روي عن العرب في العصور الإسلامية ثروة هائلة من قصص الحيوان الرمزي , وربما كان ذلك بتأثير كتاب كليلة ودمنة "[3] , ولقد وجدنا في منطقة حمام الضلعة حكايات جرت على طريقة كليلة ودمنة أو استلهمت منها بعض مواضيع حكاياتها , وتزخر المنطقة بكم هائل من حكايات الحيوان وذلك راجع إلى الإنسان الحمامي يعيش في بيئة ريفية اقرب إلى البساطة منها إلى التعقيد في جميع مظاهر حياتها نجد تقريبا أن الإنسان هنا يتعايش مع الحيوان ويوليه عناية كبيرة , ولا يزال بعض سكان المناطق النائية يعيشون إلى يومنا هذا

---

[1]. عبد اله بن المقفع و كليلة ودمنة , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر- , ط2 , 1981 , ص 37 .

[2] - فوزي العنتيل , الفلكلور ماهو ؟ , دار المسيرة - بيروت- , ط2 , 1987 , ص. 175

[3]. نبيلة ابراهيم , الدراسات الشعبية بين النظري والتطبيق , مكتبة القاهرة الحديثة , دط, ص 140 .

مع الحيوان في مكان واحد , يأكل ويشرب وينام إلى جواره , وتنشأ علاقة حميمية بين الإنسان وهذا الحيوان إلى درجة انه يعده بمثابة فرد من أفراد العائلة , وعكستها في الحكايات الشعبية .

وعليه نقول أن كتاب " كليلة ودمنة " يعتبر احد المصادر الثرية التي أمدت الحكايات الشعبية في منطقة البحث بكثير من الموتيفات التي تناسلت معها العديد من الحكايات التي تسند البطولة فيها للحيوانات , فنراه يتفاعل مع الأحداث وينفعل مثله مثل الإنسان , وبطبيعة الحال فان هذا القصص الرمزي هدفه الأول والأخير هو تزويد الإنسان بما يحتاج إليه من توجيهات ونصائح وإرشادات تعينه على تحمل أعباء الحياة برضى وقناعة وثقة في النفس وحذر وتقدير موضع الخطوة قبل القدم .

2-4- ألف ليلة وليلة :

لم يعرف كتابا من الكتب المدونة انتشارا عالميا مثلما عرفه كتاب ألف ليلة وليلة فقد عد طرفة شرقية منقطعة النظير فقد " عرفت ألف ليلة وليلة في الغرب منذ 1704 , عندما انتشرت ترجمة أنطوان جالان بالفرنسية ثم بالانجليزية ومنذ ذلك التاريخ أصبحت في العالم الغربي بمنزلة المدخل للعالم العربي "[1]

إذ من خلال الليالي كون العديد من القراء الغربيين فكرة عن معالم الشرق العربي , وان لم تكن فكرة صادقة مئة بالمائة لان حكايات الليالي فيها الكثير من الخيال الذي لا يمت للواقع العربي الإسلامي بصلة سوى صلة النسب عبر الحكايات والخيال الشعبي المتوهج .

لقد كانت شهرزاد " الصورة الأنثوية المكررة لبيداء الحكيم في كليلة ودمنة إذ كانا يعبران عن رمزية المعرفة وسحرها حيث يتحول القارئ المضمن المروي عليه في دنيا الليالي , وينتقل

1- ا.ل , رانيلا , الماضي المشترك بين العرب والغرب , ترجمة (ن, اب) , مجلة عالم المعرفة , مطابع الرسالة - الكويت- , دط , 1999, ص302.[1]

من حال اللامعرفة الى المعرفة , ومن الوعي التجريبي الفج إلى الوعي الممكن الواعد , ومن خشونة الحس وحوشية الرغبات إلى رهافة الشعور وشفافية النزاعات"[1] .

لقد أثرت الليالي في جميع آداب الأمم المختلفة إذ لو تصفحنا الحكايات الموجودة في العالم لوجدناها مليئة بالموتيفات المختلفة من ألف ليلة وليلة ربما وجدنا حكايات برمتها وبجميع تفاصيلها وحيثياتها كما وردت في الليالي , وليس ذلك بغريب فقد " تحولت الليالي إلى فضاء لا نهائي متعدد الأبعاد , يستوعب كل الجنسيات ابتداء من أصل المولد وانتهاء بروافد التأثير ويجذب إليه أنظار المترجمين والدارسين والقراء من الباحثين عن المتعة الأدبية في كل لغات العالم "[2] ومن هذا المنطلق عدت موروثات إنسانية وملكا لجميع الشعوب ولذالك ليس بغريب عندما نجد حكايات منطقة حمام الضلعة قد حملت الكثير من ملامح الليالي , إذ تعد هذه الأخيرة " مخزنا لا بنضب معينه لأي دارس في حقل الحكايات الخرافية والفلكلور بعامة "[3] . فقد صاغ منها المجتمع القيم النبيلة المبثوثة في ثنايا الحكاية كالكرم والشجاعة والمروءة والوفاء ونصرة المظلوم , ورفضوا ما عدا ذلك خاصة ما تزخر به الليالي من طابوهات كعالم المحرمات والوصف الدقيق لمفاتن المرأة والعلاقات الحميمية بين العشاق , وهو ما يصعب على الراوي ذكره أمام الملا , خاصة وان المنطقة محافظة وتتحاشى ذكر ما يمكنه أن يخدش الحياء .

لذالك يقوم الراوي بإسقاط كل ما يتنافى مع أخلاقيات المجتمع ويكتفي بوصف حياة البذخ والترف كما جاءت في الليالي مثل حكايات التي فيها وصف لمظاهر العضمة والغنى الفاحش الذي لم تعتد عليهما حكاياتنا الشعبية .

وخلاصة القول أن ألف ليلة وليلة ثمرة من ثمرات الحضارة العربية الإسلامية تذوقها أهل منطقة حمام الضلعة كغيرهم من الشعوب , فأحبوها وشغفوا بها ثم نسجوا على منوالها ورددوا

---

[1] - مقدمة الف ليلة وليلة , ج2, مجلة فصول , المجلد 13 , العدد الاول , الهيئة المصرية للكتاب , د ط , 1994 , ص08.

[2] - المرجع نفسه , ص08.

[3] - شوقي عبد الحكيم , الحكايات الشعبية العربية , دار ابن خلدون , بيروت , ط1 , 1980 , ص53.

بعض حكاياتها بعدما غاب عنهم أصلها فطبعوها بطابعهم الخاص , وتلونت بثقافتهم المحلية ونسبت لهم , ولذالك عدت الليالي رافدا مهما أيضا يصب في نهر الحكايات الشعبية في منطقة البحث .

3- وظائفها :

لا تزال لذة الحكي في الحكاية الشعبية والرغبة في الاستماع لدى المجتمع قوية ومستمرة , فقد تعلق بها الكبير قبل الصغير ومنحوها بعضا من وقتهم وافتكت لها مكانة في حلقاتهم العائلية , فضلا على أنها احتلت مكانة أرقى في عقولهم وقلوبهم اخذين منها الحكمة والعبرة والمثل والقدوة " فحملوها قيما ووظائف مستمدة من الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعقائدي والثقافي "[1] .

ومما لا مجال فيه للشك أن مجموعة الوظائف التي تؤديها الحكاية الشعبية هي نفسها في كل زمان ومكان لدى جميع الشعوب والامم وبالتالي في منطقة تبسة وسنحاول فيما يلي ان نميط اللثام عن الظائف المستنبطة من حكايات المنطقة .

3-1- وظيفة التسلية والترفيه :

يتبادر الى ذهن كثير من الناس ان الدافع الاساسي لوجود الحكاية الشعبية هو التسلية والمتعة والترفيه عن النفس والمسامرة وتزجية اوقات الفراغ خاصة في ليالي الشتاء الطويلة اين يحلو السهر تحت وقع المطر , او في ليالي الصيف تحت ضوء القمر , فيثير صوت الراوي مخيلة السامعين صغارهم وكبارهم ويرحل بهم الى ذلك العالم الخرافي الرائع .

لكن الواقع يختلف عن ذلك , فالحكاية الشعبية لم توجد من اجل سد الفراغ والترفيه عن النفس فقط , وإنما دورها يفوق هذا المجال الضيق ليتعداها إلى ميادين أوسع واهم , لكن

[1] - محمد سعيدي , نص الاستهلال في الحكاية الشعبية , مجلة بحوث سيمائية , دار الغرب للنشر والتوزيع , - تلمسان- و العدد الاول , د ط , 2002 , ص 140.

تبقى وظيفة الترويح عن النفس والتسلية " أهم أهداف القصة الشعبية لأنها بقيت طويلا الوسيلة الوحيدة لتسلية الجماهير "[1] ووجدنا في منطقة البحث أن الناس يميلون كثيرا إلى رواية الحكايات الشعبية والاستماع إليها كلما سنحت لهم الفرصة بذلك , فتجتمع النسوة في البيوت , ويجتمع الرجال في المقاهي البسيطة خارج أوقات العمل ويقومون بسرد الحكايات الشعبية علها تسليهم وتنسيهم متاعب يومهم وتخفف عن النفس ثقل وحدة آلام الواقع المعيش , فتسري عن مستمعيها وتبث فيهم روح المرح , وتشيع بينهم جوا من الفرح . اذ يقول الرسول الكريم في هذا الصدد " روحوا عن النفس ساعة بعد ساعة , فان النفوس اذا كلت عميت " صدق الرسول الكريم . ويظهر لنا الطابع الترفيهي للحكاية في معظم القصص المدونة إذ أول ما يشد انتباه السامع إلى مضمون الحكاية هو العنوان , لان هذا يعد بمثابة جواز السفر الذي يسمح للجمهور بالسياحة في عالم الحكاية الشعبية , وبالتالي تمنحه وعدا بالمتعة والضحك منذ الوهلة الأولى .

فعندما يقوم الراوي بسرد الحكاية يتكلم بصوت به غنة حتى يجيد الدور ويشد إليه الجمهور أكثر فأكثر , ويدخل في قلوبهم مزيدا من الفرحة والمتعة .

وغالبا ما نجد أن الحكايات الخاصة بالتسلية تكون فيها الشخصية المحورية خيرة تماما , تقهر الظلم وتنتصر عليه , وحتى الشخصيات التي تستعمل الحيلة والشر ظاهريا يحس المستمع إليها إنها طيبة في أصلها , وإنما هي تستعمل الشر لدرء الشر نفسه – فالحديد بالحديد يفلح كما يقال – " فانتصار الأشخاص الخيرة انتصارا تاما يثي في النفوس انشراحا وفي الصدور راحة يتسلى بها المستمعون "[2] .

إذ أن انتصار هذا البطل على عصابة الأشرار في كل مرة يعد انتصارا للمستمع نفسه , وربما تأخذه الحمية ويحلق به الخيال بعيدا , فيتخيل نفسه هو البطل بعينه .

---

[1] - روزلين ليلى قريش , القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي , ص 182.

[2] - روزلين ليلى قريش , القصة الشعبية ذات الاصل العربي , ص 182.

3-2- الوظيفة التربوية التعليمية :

إن المتصفح للحكايات الشعبية في منطقة البحث يجد أن الطابع التعليمي الأخلاقي يطغى بوضوح على المواضيع المختلفة التي تطرقها , فهي تسعى من اجل نشر القيم السامية والمبادئ الفاضلة بين أفراد المجتمع والتحلي بالأخلاق الكريمة التي يرثها الخلف عن السلف , حتى تنشا الأجيال الصاعدة تنشئة اجتماعية سوية " والتنشية الاجتماعية هي عملية تشكيل السلوك الاجتماعي وتهيئة الطفل ليكون فردا صالحا في المجتمع يعرف واجباته وحقوقه , ويتعلم الإنسان هذا السلوك الاجتماعي بواسطة التفاعل مع الآخرين .[1]

وتعمد الحكاية الشعبية إلى إلقاء الضوء على الوظيفة التربوية الأخلاقية بطريقة غير مباشرة , لان النفس البشرية تنفر الأوامر والنواهي ويستاء الإنسان خاصة الطفل الصغير من الدروس التربوية التعليمية والنصائح المباشرة , أما إذا قدمت له المواعظ والعبر في شكل أحداث مشوقة ومسلية وفي الوقت نفسه قريبة من الواقع , وبأسلوب بسيط قريب إلى ذهنية الطفل ونفسيته , وبالتالي يمتص أحداثها بصورة لا واعية ودون أن تفرض عليه , فتجد طريقها إلى وجدانه وعقله معبدة فبعد أن يستوعبها جيدا ويتشرب أهدافها ومغزاها وتتحلل في أعماقه وتترسب في لا شعوره يقوم بإعادة إنتاجها من جديد في واقعه المعيش .

حيث يقوم بإعادة ترتيب وتركيب الصور و الأحداث التي اختزنها في ذاكرته , فيترجمها تدريجيا إلى مواقف ملموسة وأعمال تساعده في حياته وفي تعاملاته مع الآخرين " فالحكاية الشعبية تتميز برسالتها التعليمية التهذيبية ومعظمها يحمل في ثناياه درسا اخلاقيا ما , وذلك مثل جزاء الخيانة وفضل الإحسان , ومضار الحسد وما إلى ذلك "[2] , وتتجسد هذه القضايا الأخلاقية في معظم الحكايات المدونة ،وهناك بعض الحكايات التي تبين فضل الإحسان والصدقة في درء الشر ودفع البلاء .

---

[1] - خالد احمد الشنتوت , دور الطفل في تربية الطفل المسلم , شركة شهاب للنشر والتوزيع - الجزائر , ط د , 1988 , ص75.

[2] - فراس السواح , الاسطورة والمعنى , ص 18 .

و الحكاية الشعبية إذا ما رويت عن الأطفال فإنها مربي دون عصا إلى تعديل السلوك بأسلوب ذكي وتصحيح بعض التصرفات ومعالجة بعض التصرفات ومعالجة بعض الظواهر الاجتماعية التي تساعد في تربية الطفل وتنشئته تنشئة صالحة وإرشاده إلى الطريق السوي واخذ العبرة فهو يتقبلها بسرعة لأنه لم يبلغ درجة كافية من النضج و الذكاء .

وخلاصة القول هي ان تمسك الناس برواية الحكاية الشعبية راجع الى وظائفها التي تحقق أهدافا تربوية بالدرجة الأولى " فهي الوسيلة التي تجعل الطفل يتعلم القيم الخاصة بالمجتمع النبيل "[1]، كما تلعب دورا ايجابيا في تقويم بعض السلوكات و تساهم في التربية و التوعية و التنشئة السليمة و تستجيب لطلب النظام في حياة الإنسان.

3-3-الوظيفة النقدية :

يمكن القول أن الوظيفة التعليمية والوظيفة النقدية هما وجهان لعملة واحدة , أو أن الوظيفة التعليمية التربوية هي أصل والوظيفة النقدية فرع عليها , فكلتاهما تصبان في مجرى واحد ألا وهو الوعظ والإرشاد وإعطاء الدروس النافعة التي تعيد الفرد إلى جادة الطريق , وتنمي فيه الضمير وتجعل حاسة الإدراك تعمل من جديد والتي كادت تتعطل من المتناقضات ومفارقات الحياة , حيث انقلبت المواضعات وتغيرت الموازين ولم يعد من السهل التمييز بين الخطأ و الصواب بالنسبة للصغير أو حتى الكبير .

لذالك كانت الحكاية الشعبية معلما صادقا بالنسبة لكليهما , فتعلم الصغير بابتسامة حانية والتفاتة عطوفة , وتؤدي بذالك وظيفة تربوية تعليمية , حيث تهذب السلوك وتصقل شخصية الطفل , وتقد تعلم الكبير بابتسامة ساخرة , متوسلة في ذلك أسلوب الجرح والتعديل , فتنتقد وتندد وتضع يدها على موضع العلة في المجتمع , فتشخص الداء وتصف الدواء وبهذا تؤدي وظيفة نقدية .

[1] -عبد الرزاق جعفر :ادب الطفل ، دراسة دمشق ،اتحاد كتاب العرب ،دط،1979،ص308.

ويؤكد ما ذهب إليه " عمر عبد الرحمان الساريسي " بقوله : " هناك وظيفة للحكاية التي اتفق عليها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا والفولكلور , وهي الوظيفة التعليمية حينما توجه لصغار السن من الأطفال و المعلمين أو النقدية في حالتها المطلقة وذلك من خلال ما تحاربه من القيم الاجتماعية الفاسدة من بخل وكسل أو طمع أو خيانة أو بلاده ..."[1]

وتؤدي الحكاية الشعبية وظيفتها على أكمل وجه حينما تحاول أن تعري الحقائق وتميط اللثام عن الوجه الأخر وتضعه تحت المجهر , فتطالعنا زوجة الأب الشريرة في حكاية " بقرة اليتامى"[2] بالوجه الذي عرف عنها بين أفراد المجتمع من قسوة وسيطرة , وظلم لأبناء زوجها اليتامى , فتتعظ المرأة أن كانت تؤدي نفس الدور حقيقة على ارض الواقع وتحاول جاهدة أن تحسن إلى اليتيم , فان كان لها أولاد فلا تفرق في معاملتهم حتى لا يدب الشقاق والكره بينهم , أو تدفع بالطفل اليتيم إلى مصير مجهول كان يفر من معاملتها القاسية إلى صدر الطبيعة الرحيم يستعيض به عن صدر أمه الحنون مقتحما غمرات المجهول بحثا عن حياة أفضل .

وتجنح الحكاية الشعبية في انتقادها لنماذج غير سوية من المجتمع إلى أسلوب التلميح وتبتعد عن التصريح المباشر حتى تدفع بالمستمع أن يستجيب للقص بطريقة واعية وجادة , فيكون بذالك مستمعا نشطا يستحث الحكاية , ويقلب فيها الظن بعد الظن " إذ ليس للنص معنى بمعزل عن همومنا ومأزقنا ومخاوفنا و أمالنا جميعا "[3] فيقوم المتلقي بعملية غربلة وفرز للأحداث فيتعظ ويقدم البديل ويبحث عن المعادل الموضوعي لها .

وكثيرا ما نجد أن هذا النوع من الحكايات يحظى بشعبية كبيرة " و الواقع أن سير هذه الشعبية يكمن في ابتعاد الحكاية عن التصريح المباشر بالتعاليم التربوية والأخلاقية ,

---

- عمر الرحمان الساريسي , الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني , المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت- ط1 , 1980 , ص 128.[1]

- حكاية بقرة ليتامى انظر الملحق .[2]

- مصطفى ناصف , محاورات مع النثر العربي , مجلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة , والفنون لاداب الكويت ,1997, ص7.[3]

وتقديمها كل شيء من خلال الأحداث تاركة مهمة شرحها وتحليلها للمستمع "[1] , فهذا النوع من الحكايات خلاصة فكر المجتمع ونظرته الأخلاقية , حيث تقوم الحكاية المقنعة بلفت نظره إلى ضرورة اعتماد جادة الأخلاق والابتعاد عن الصفات الرذيلة والسلوكيات المنحطة لذالك كانت الحكايات النقدية " شواهد صممت لترشد وتوجه وهي تحاول أن تفسر الحياة الدنيا والثقافة والمجتمع [2].

وقد تتوسل الحكاية الشعبية في نقدها للمجتمع بمنهج ايجابي تلتزم فيه القصد وتبتعد عن المبالغة والتكلف وبأسلوب تهكمي , وقد يسخر الحيوان لأداء نفس الغرض , فينطق بالحكمة البالغة والكلمة الصائبة والمثل الهادف وخلاصة القول أن الحكاية الشعبية تهدف من خلال نقدها للمجتمع إلى تعليمه المبادئ السامية وغرس الفضيلة بين أفراده والانتصار للخير دائما و أبدا .

3-4- الوظيفة الثقافية :

تعتبر الحكايات الشعبية رافدا ثقافيا مهما وفعالا تستقي منه الأجيال التصورات والمفاهيم التي تحتاجها لفهم أسلافهم والمبادئ التي درجوا عليها , فهي تقوم " بوظيفة التثقيف للفرد والجمهور لان الحكاية ترتبط بالقيم المعنوية للحضارة , وترتبط بالتصورات والمعتقدات "[3] , كما عملت على إيصال ثقافة الأجداد للأحفاد بشقيها المادي والمعنوي , حيث يشمل الشق الأول تعريف بكيفية مسكنهم , وملبسهم , ومأكلهم , وأعمالهم اليومية , ويشمل الشق الثاني البنية الفكرية للمجتمع من معتقدات , ونظم و أفكار , وفنون وغيرها , فكل الحكايات مهما كان نوعها وغرضها تمدنا بمعلومات عن القيم الثقافية للمجتمع .

- عايدة بامية , بقرة اليتامى , مجلة مركز الدراسات والابحاث الخاصة بالتنمية الجهوية , عنابة , د ط , 1982, ص 94.[11]

- يان فانيسا الماثورات الشفاهية , ص307.[2]

- احمد رشدي صالح , الادب الشعبي , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ط3 , 1971 , ص 23 .[3]

ومما لا شك فيه أن الحكايات تحمل في طياتها ثقافة المجتمع الصادرة عنه , فهي بمثابة القناة التي تمرر عبرها القواعد الأخلاقية والقيم والمثل العليا وتعمل على ترسيخها في النفوس والعقول , ولا تستطيع أي امة من الأمم النهوض إلى إذا ربطت حاضرها بماضيها ولمنطقة تبسة كغيرها من مناطق الجزائر تراثها العريق الذي يعبق بروائح الأصالة والتحدي والصمود في وجه الزمن والمستحيل , هذا التراث الذي خلدته الحكايات وحافظت عليه بكل قوة , حيث ترمي من خلال الوظيفة الثقافية إلى " ترسيخ معتقد أو قيمة أخلاقية أو تعليم من يتلقاها بعض هذه المعارف الشعبية , أو هي تأكيد قيمة اجتماعية أو اعتقاديه "[1] , لذلك تعتبر جزءا لا يتجزأ من البناء الثقافي , فهي تتضمن صورا عدة لحياة أجدادنا وإبائنا في القديم وتعكس بوضوح العادات والتقاليد والأفكار المختلفة لأهل المنطقة .

والمتمعن في الحكاية الشعبية والمتتبع لدقائقها – خاصة إذا كان الراوي بارعا له قدرة عجيبة على الوصف وتقريب الصورة إلى ذهن المستمع – ترتد إلى مخيلته صورة ناطقة عن الحياة في الأزمنة الغابرة , فيحس انه يرى ملامح البيئة التي يجهلها رؤيا العين , فيجلس في الكوخ مع البطل , ويشرب من العين أو البئر التي شرب منها ويتبعه في رحلة الصيد .. الخ , إذ أن " السمة الأولى للحكاية الشعبية هي ارتكازها على الواقع الذي يعيشه الشعب "[2] , حيث تطالعنا قصص المدونة بالثقافة المحلية المادية كالأشياء اليومية من مسكن وملبس وأدوات الأكل والحلي وغيرها .

كما يظل الكحل والحناء والسواك من أهم أدوات الزينة للمرأة في القديم حيث يتبين لنا خلال الحوار التالي من حكاية " بقرة ليتامى"[3] : " قلها وشبيك عينيك عور , قتلو من كحلة بلادكم , وشبيها يدك حرشة قتلو من حنة بلادكم , وشبيه فمك أبخر قتلو من سواك بلادكم " , " الحكاية هي مرآة المجتمع التقليدي المحلي , تعكس قيمة ونظام القرابة السائد فيه

[1]. - يان فانيسا , الماثورات الشفاهية , ص 304 .
[2]. - نبيلة ابراهيم , اشكال التعبير الشفهي , ص 125 .
[3]. - حكاية بقرة ليتامى , انظر الملحق .

وسلوكيات أفراده وعاداتهم التي تنظم الحياة اليومية من تقاليد اللباس والمأكل والملبس والأعياد وأفراح الزواج والمأتم " [1]

كما تمكننا من معرفة بعض الأغراض التقليدية التي اندثرت اليوم وعوضتها أغراض حديثة , فغابت عنا ولم يبق منها سوى الأسماء التي كادت أن تتلاشى هي الأخرى لولا أن حفظتها الحكاية الشعبية مثل :

" الفرعة " أو " المزود " وهي عبارة عن وعاء من جلد الماعز يخبئ فيها التمر والكسكس والدقيق .

" القربة " : وعاء من جلد لحفظ الماء البارد وهي لا تزال تستعمل في بعض المناطق .

" النفول " : يشبه الفرعة ولكن ذو حجم كبير يصنع من جلد البقر تحفظ فيه مؤونة الأسرة طيلة السنة .

المخلى": وتسمى أيضا "القراب" يصنع من الحلفاء أو الدوم أو الصوف تحفظ فيه أرغفة الخبز.

"**المثرد** ": وهو صحن كبير من الطين يوضع فيه الطعام وتجتمع عليه العائلة للأكل.

"**العديلة** : يخبئ فيها القمح والشعير وهي كبيرة الحجم يصل وزنها إلى قنطارين.

"**المطمور** " : عبارة عن حفرة في الأرض كبيرة جدا يصل عمقها من متر ونصف إلى مترين ويفرش من الداخل بأعشاب تدعى الخص ويخبئ فيه القمح والشعير والحمص والذرى للاستعمال في فصل الشتاء.

وقد تعرفنا على هذه الأدوات من خلال الحكايات الشعبية المتوارثة في بيئة الحكي حيث تمارس الحكاية "وظيفة التثقيف للفرد والجمهور، لأن الحكاية ترتبط بالقيم المعنوية

[1] - يوري سوكولوف , الفولكلور قضايا تاريخه , ترجمة علي شعراوي وعبد الحميد حواس , الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر , د ط , 1971.

للحضارة"[1]

ففي حكاية "بقرة اليتامى " نتعرف على أدوات منزلية للطبخ مثل الطاجين وكذلك الزلفة وهي عبارة عن آنية من الفخار تستعمل للأكل، والرحى التي تطحن الحبوب ونلتمس ذلك من خلال الفقرة التالية من الحكاية "قالتله الستوت أعطيني بقرة، و طاجين و فرعة تع سميد وأعطيني معاهم زلفة نحلب فيها ورحى[2]."

كما تمكننا الحكايات من التعرف على بعض الأكلات الشعبية العريقة

إضافة إلى ما ذكرنا تزودنا بمعلومات عن بعض الأعمال النسوية التي تتمثل في الأشغال المنزلية، وخدمة الصوف من غزل و نسيج ، وهذه الأعمال لا تزال تقوم بها المرأة حتى اليوم .

كما تتعرض الحكاية إلى العلاقات الأسرية التي كانت سائدة في المجتمع، فتبين التربية الخلقية التي درج عليها الأبناء اتجاه الآباء

وتسعى أيضا إلى الكشف عن النظام المعيشي الذي اتبعه المجتمع في ذلك الحين، إذ يتضح أن أفراد المجتمع كانوا يعتمدون أنشطة معينة مختلفة، كنشاط الصيد أول الأمر من خلال معظم الحكايات

كما نجد في معظم حكايات المدونة ذكرا للقمح والشعير وهما إنتاج زراعي محض بالدرجة الأولى.

وتحمل الحكايات إشارة للنظام الطبقي الذي كان سائدا فهناك طبقة الأحرار المتمثلة في السلطان أو الحاكم وحاشيته والأثرياء والطبقة المتوسطة التي تشمل الفلاحين والحرفيين البسطاء من الناس إلى جانب طبقة العبيد ونستدل على ذلك من خلال كلمة "**الوصيف**" أي العبد الذي يعمل عند السيد الذي يمثل في الحكاية "السلطان" مثلما نجد في حكاية "بقرة اليتامى.

[1] -محمد سعيدي ، نص الاستهلال في الحكاية الشعبية ، مجلة بحوث سميائية ، ص 146.

[2] -حكاية بقرة اليتامى، انظر الملحق.

وهذا دليل على وجود الفوارق الطبقية في مجتمع المدونة والرغبة في امتصاصها.

وتترجم الحكايات الثقافة المعنوية للمجتمع، وتبين البنية الفكرية المكونة له فأحداث القصة والطريقة التي تحكى بما موقف إثر موقف، تلقى الضوء في سهولة ويسر على سلوك الناس، وما يفعلونه، وما يعتقدون فيه مما يجعل من السهل معرفة أسلوب حياتهم ونمط تفكيرهم فأهل المنطقة لهم معتقدات وعادات نابعة من تعاليم الإسلام السمحاء كالإيمان بالله واليوم الآخر والبعث، والملائكة والشياطين والقضاء والقدر والاعتقاد في وجود الجن والسحر.. إلخ، ويلمس المستمع للحكاية وجود بعض المعتقدات المترسبة لدى أهل المنطقة.

وعليه تعتبر الحكاية الشعبية الأرض التي تمتد فيها جذور الحياة الثقافية للمجتمع وذلك كالدين واللغة والتقاليد، تلك التي تعتبر المنوال الأساسي الذي يحدد نوع العقلية الخاصة بالنموذج الاجتماعي، وهو نموذج شائع في جميع صور الأفراد المنتمين لذلك المجتمع الذي يطبع حياتهم بسلوك اجتماعي معين ويمكن قبول الحكاية الشعبية كإحدى وسائل تبيان درجة الأحوال أن نغفل دورها في عهد الاستلاب الثقافي عندما حاول المستعمر طمس اللغة العربية ومحاربتها وسحق الشخصية الجزائرية العربية المسلمة فعمد إلى فصل التراث العربي الرسمي عن مناهج التعليم ووسائل الثقافة الرسمية وما « بقي من الثقافة الوطنية تمثل في التراث الشعبي الشفهي الذي لا يملك المستعمر أن ينتزعه من وكانت الحكاية الشعبية إحدى الوسائل التي قاومت وصمدت أمام الطرق الغير شرعية التي اتبعها

التطور الذي وصل إليه الشعب عقول الناس ووجدانهم " وكانت الحكاية الشعبية احدى الوسائل التي قاومت وصدمت أمام الطرق الغير شرعية التي اتبعها الاستعمار للقضاء على الكيان الجزائري فقد أراد السيطرة على العقول قبل الحقول

عليه يمكن القول أن الحكاية الشعبية مرآة عكست سلوك المجتمع التقليدي المحلي وشهادة صادقة عن مؤسسات ثقافية اندثرت واضمحلت وتاهت ملامحها في ظل الزحم الثقافي المذهل الذي يطبع عصرنا هذا الذي تعددت فيه الوسائط والوسائل الإعلامية والثقافية وهي

اليوم تجاهد من أجل استعادة دورها في الحياة، إنها سجل حافل بمختلف مظاهر الحياة الثقافية للمجتمع القديم

-3-5-الوظيفة النفسية

ترتقي بنا الحكايات الشعبية إلى أعز مكانة في مدارج الخيال حيث تحلق بنا صورها العجيبة في فضاءات لا متناهية بعيدا عن منطق الحس، فتفك قيود النفس من أصل الزمان والمكان وتوهمنا بوجود زمن محال وتشطح بملامح أبطالها إلى أقصى رتب الكمال من الحسن والقوة والاقتدار، فما انتصار البطل الشعبي سوى تعبير "عن حصيلة ذهنية خيالية لانتصار الطيبة على الشر وغلبة الجمال على الدمامة وتفوق الفقر على الغنى وقضاء الإيمان على الكفر"[1] إذ تجعل الإنسان يقطع المسافات البعيدة في طرفة عين وتجعله يكبر ويحقق أهدافه بسرعة خارقة للعادة ويعود إلى الحياة بعد الموت تجسيد لخوف الإنسان من مصيره المحتوم '(الموت)فهو الحقيقة الوحيدة التي لم يستوعبها ذهن الإنسان منذ الأزل بل تعايش « تمثل تراجيديا الحياة في قمتها وهي تعكس رغبة دفينة بأعماق الإنسان ألا وهي قهر الفناء.[2]

كما تسمح الحكاية للبطل بأن يركب البساط السحري ، ويلبس تقية الإخفاء فيفعل ما بدا له، فتقية الإخفاء تدل على رغبة الإنسان في معرفة العالم الخفي ومحارات الجن الذين لا يمكن مشاهدتهم بالعين ولكنهم مع ذلك لهم حضور قوي وقدرة على فعل أي شيء، فتتملك الإنسان رغبة في أن يكون مثلهم بعض الأحيان ويختفي عن الأنظار ويحقق ما يعجز عن تحقيقه في الواقع .

كما تعرض الحكايات شخصيات وهمية مخيفة كالغول الذي يمثل غول القلق المبهم المقيم والخوف من المجهول، والصعوبات التي تعترض سبيل الإنسان وتغلب البطل على الغول سواء بالذكاء والحيلة أو بالقتل مثلما هو موجود في كثير من الحكايات معناه قهر للمستحيل والعراقيل ومنح فرصة للإنسان للانتصار عليها بالتحايل وإيجاد البديل أو بالتجاوز عنها

1-ماجدولين شرف الدين ، بيان شهرزاد، ص 65.

[2] - نبيلة إبراهيم ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 65.

وإهمالها كأنها ماتت أولا وجود لها » والحقيقة أن القصة الشعبية تحاول أن تعبر عن واقع نفسي في إطار وجود يحتمل ان يقع"[1] ، حيث تميل معظم الحكايات الشعبية إلى تأكيد النهاية السعيدة للقصة بانتصار البطل وكل قيم الخير والفضيلة على الرذيلة والشر ومعاقبة الشرير وهذا من أجل فتح أبواب الأمل في نفس الإنسان الشعبي كتعويض بسيط عما يعانيه فالحكاية تحاول « إيجاد نوع من التوازن بين عالم مشحون بالأنانية والكراهية وحب الشر وبين تصور عالم مثالي تجد فيه النفس الجريحة الأمن والاطمئنان[2] ، فتلك سبيلها التي ارتضتها بديلا عن واقع مرير بعد أن فقدت الطبقات الشعبية القدرة على المواجهة والتغيير.

وما يزال الإنسان الشعبي مسكونا بهاجس الخوف من المجهول والقاق على المصير، والصعوبات التي تعترض طريقه، فجسدها في شكل شخصيات وهمية ورموز مختلفة، حيث يمثل البئر عالم الأعماق الغامض والمصير المجهول والخروج منه انتصارا وزوال القلق، إذ يرمز سقوط عائشة في البئر إلى النفس البشرية التي تجد نفسها بين الفينة والأخرى في هوة سحيقة يصعب الخروج منها ذلك أن « بئر العالم الخفي، يعكس حياة الفزع والخوف الذين يعيشهما الإنسان عندما يعاني من الصراع بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون[3] ، فيبحث عن وسيلة للموائمة بين الوضعين حتى يرتاح ويهدأ أو ينجو من الهوة.

وينجح البطل دائما في الخروج من المأزق أوالبئر ففي حالة عائشة تغيرت حالتها إلى الأحسن مثلما حدث لسيدنا يوسف عليه السلام وحادثة البئر التي غيرت مجرى حياته ونقلته من عالم مظلم مشحون بالحقد والأنانية إلى الملك والسلطة، وقد درجت العقلية الشعبية على التيمن بسيرة الأنبياء كقدوة تبعث على التحلي بالصبر حين نزول القضاء فالصبر مفتاح الفرج.

وهناك بعض الشخصيات في الحكاية التي تأخذ بعدا غير بعدها الحقيقي، فشخصية زوجة

[1] - التلي بن الشيخ ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص 109.
[2] - المرجع نفسه، ص 109.
[3] - ماجدولين شرف الدين بيان شهرزاد (ص) ص 55.

الأب القاسية الشريرة المتسلطة لا تعطي انطباعا عن الشر المطلق « بل توحي بنوع خاص من العدوانية التي تؤججها الغيرة في باطن الوعي " [1] فتدفع الشخص إلى أن يسلك سلوك لا عقلاني لا يمت إلى منطق الرحمة والإنسانية بصلة.

كما نصادف في ثنايا الحكاية الشعبية خروج الابن من بيت أبيه لسبب من الأسباب كأن يتخلى عنه .

وكثيرا ما تحاول الحكاية أن تبرز سمة الذكاء والدهاء عند المرأة أكثر منها عند الرجل إذ أن كيدهن عظيم ، فتفوق المرأة على زوجها يحيل على دلالة نفسية فهي تقوم بعملية إسقاط لشخصيتها على شخصية المرأة في الحكاية كتعويض عن التهميش الذي تعانيه على أرض الواقع، لأن المجتمع التقليدي يفضل الرجل على المرأة دائما.

وتعد صورة البطل قطبا تنهض عليه التنويعات الفرعية للحكاية، والمتلقي كثيرا ما يضفى صفة الواقعية على أحداثها فيشارك أشخاصها مشاركة وحدانية حق يجعل نفسه أحدهم وغالبا ما يختار شخصية البطل، خاصة الطفل الصغير فهذا الأخير له عالمه الغريب الذي يصعب على الكبار الولوج فيه والتوغل في غياهبه ومتاهاته فهو يعيش صراعا نفسيا يتداخل فيه الواقع والخيال فالحكاية مرآة تعكس الضوء على عالم الطفل ونفسيته « ويفسر الباحثون النفسانيون سر إقبال الأطفال على الاستماع للحكايات الخرافية لما يجد فيها هؤلاء الأطفال من تعبير رمزي عن طريق الأفعال والمواقف والمشاهد والصور لما يعانونه من تحولات وصراعات ذات طبيعة نفسية "[2] فالطفل حين يصغي للحكاية يبدأ في الحصول على فكرة عن الطريقة التي يستطيع بواسطتها تنظيم حياته الباطنية المتناقضة ويتم ذلك بطريقة لا واعية.

كما تجسد الحكاية التصدع الداخلي للذات والصراع المرير بين الهو والأنا والأنا الأعلى إذ تمثل الأنا والأنا الأعلى المحاكمات العقلية العليا، ويمثل الهو الطبيعة الحيانية داخل

[1] - المرجع السابق، ص55.

[2] - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي و البطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ص 95.

الإنسان أو الإكراهات الغريزية ومن ثمة حسب سيغموند فرويد" « فوظيفته لذويه أي إشباع اللذة والخضوع بشكل تام لمبدأ اللذة لا لمبدأ الواقع وبخضوعه ذلك فإنه لا يخضع للعقل ولا للمثل الأعلى ولا للتفكير خضوعا ملحظا يمنع تدخل الأنا ، والأنا يبقى ذا فاعلية في مجال الغرائز، إذ ينظم تعاركها ويقيم التجانس إلى حد ما، بينها وبين المجتمع لأومع الأنا الأعلى تمثل عائشة (الأنا) أوالأنا الأعلى" [1]التي تراقب تصرفات أخيها الذي تتحكم فيه الهو الإكراهات (الغريزية والتي تظهر في شكل عطش شديد، الذي يمثل المحذورات (الغرائز) التي يتلهف الإنسان لتحقيقها.

وقد ينساق الإنسان وراء رغبته المجنونة يحاول إشباعها دون أن يحسب حسابا لما يكلفه ذلك، وإذا استسلم الإنسان لإكراه الهو سينزل إلى الدرك الأسفل ويصبح لا اجتماعيا فينزل إلى المرتبة الحيوانية على نحو ما نرى في الحكاية ، إذ إن الطفل يريد أن يشرب من عين يتحول على إثرها الشارب إلى حيان معين فتمنعه أخته بتوسلاتها ولكن يستمر الهو (العطش) في ممارسة ضغوطه على نفسية الطفل فيتغلب على قيود الأنا والأنا الأعلى عند حد معين أي تتغلب الغريزة على العقل فيشرب الطفل ويتحول إلى غزال حيث « يظهر كيف أن السيطرة العقلية تفقد قدرتها عندما تستيقظ الغرائز الحيوانية بقوة "[2]

وهنا يقفز إلى أذهاننا سؤال مهم لماذا لم يشرب الطفل عين أخرى غير عين الغزال؟ ، ذلك أن الغزال حيوان أكثر طاعة يمثل التخفيف من التوحش الحيواني، أي خضوع جزئي للمظاهر الغريزية التي يرفضها العقل ، أي التخفيف من الرغبات الدنيئة في الأعماق ويرى الباحث برونوبلتهايم » أن تحول الإنسان إلى حيوان دليل على الطبيعة الحيوانية، فالفلاسفة القدماء رأوا أيضا في الإنسان طبيعة حيوانية وأخرى إنسانية .[3]

وتذكر معظم الحكايات وجود أخوين متشائمين لدرجة عدم القدرة على التمييز بينهما كأنهما

[1] - على زيعور مذاهب علم النفس، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع - بيروت - لبنان، ط3، 1980، ص 225.
[2] - برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ترجمة طلال حرب، دار المروج - بيروت - دط، 1985، ص 113 .
[3] -المرجع نفسه، ص 111.

توأم » فهما يرمزان السيطرة اللاشعور وغياب الشعور أو تعطل تشكله" [1]ويرمز موت أم أحدهما إلى رغبة الطفل في الانفصال عن والدته حتى تتشكل لديه شخصية مستقلة ناضجة، فتسعى الأم الثانية إلى الفصل بين الأخوين فيفترقان ويتعرض أحدهما إلى صعوبات وينقذه الآخر، ويعودان من جديد ليجتمعا ويعيشا معا في سلام فهذا توجه نحو الفصل بين طاقتي الشعور واللاشعور وإعطاء الأول مكانة في حياة الطفل، وتمكينه بالتالي من القيام بدوره المتمثل في السيطرة على الثانى "[2] ،كما تبين الدراسة المورفولوجية للحكاية الشعبية وجود 31 وظيفة التي استنبطها "بروب" تبدأ كلها بالمغادرة والرحيل وتنتهي بالانتصار واعتلاء العرش أي كل حكاية تشتمل على خمس حركات تضم مختلف الوظائف: استقرار، فقدان التوازن، صراع مواجهة ثم عودة للاستقرار، فرحلة المغادرة للصيد أو البحث عن حياة بديلة لأي سبب من الأسباب يعادل رحلة البحث عن تحقيق الذات الذي يفترض الانفصال عن الأهل، وفقدان الاستقرار الأولي، وهي رحلة لا بد منها ليبلغ درجة النضج النفسي والاستقرار الداخلي، فيخرج الطفل صغيرا يتحول في النهاية وبعد صعاب عديدة إلى بطل وينتصر على حالة اللاتوازن بداخله.

كما أن خروج البنت تتحول بموجبه إلى حالة نفسية جديدة ويشير إلى مرحلة انتقالية أخرى حيث تتزوج وتنجب « فالولادة تمثل تحولا داخليا يحول المرأة الطفل إلى أم » [3]، تحدث عملية نضج فالمعركة هنا من أجل التكامل، فقد حدثت عملية تحول من وضع لوضع آخر أي رفض نوع قديم من الحياة لتحقيق نوع جديد.

وحالة الاستقرار النهائي لا تشبه حالة الاستقرار الأولي في الحكاية، فالبطل ينطلق وهو فقير مشرد، ويعود أخيرا وقد أصبح بطلا يعتلي العرش أويتزوج من الملكة، والفتاة الصغيرة الفقيرة تصبح زوجة السلطان، وسيدة راقية أي الانتقال من الحالة السلبية إلى

الحالة الإيجابية، فعندما يستمع الطفل إلى النهاية السعيدة للحكاية يقوم بعملية إسقاط

[1] - عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي و البطلة الضحية، ص 96.
[2] - المرجع نفسه، ص96.
[3] - برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ص114.

لشخصية البطل على شخصيته ولكنه يدرك جيدا أنه في واقع الحياة « لن يرث بالتأكيد مملكة لكن إذا أدرك وأكمل رسالة الحكاية سيجد المملكة الحقيقية لعالمه الباطني، إذ سيصبح سيد نفسه بتعلمه معرفة عقله الذي سيخدم كثيرا "[1]

وعليه نقول أن الحكاية الشعبية تقوم بوظيفة الطبيب الصامت المعالج لكثير من الأمراض النفسية والأخصائي النفساني الذي يوجه ويرشد، ويراقب ويترك الخيار للشخص نفسه في اختيار السلوك الذي ينبغي أن يكون كما تمنح له فرصة كي يقحم نفسه بشكل أفضل في قلب العالم الذي يواجهه

[1] - برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية ،المرجع نفسه، ص112.

تحليل نموذج من الحكاية الشعبية (بقرة اليتامى)

1- المنهج النفسي في تحليل الحكاية الشعبية

2- ملخص حكاية بقرة اليتامى

3- التحليل النفسي لحكاية بقرة اليتامى

4- المرموزات نفسية في حكاية بقرة اليتامى

1-**المنهج النفسي في تحليل الحكاية** :إن الباحث المتمعن في موقف الجمهور إزاء الحكايات الشعبية يلحظ انه لا يزال الإقبال عليه شديد ، ولا تزال متعة ولذة الحكي كبيرتين تترجمهما ملامح المستمع و الراوي معا ، حتى وان كان الجميع قد استمع لنفس الحكايات مرات ومرات عديدة فتراهم ينصتون للراوي " في شغف ويتطلعون إلى ما يقدمه من سرد ووصف لموضوعات الحكايات وأحداثها " [1] .

وهنا يثور السؤال في ذهن الباحث ، ويولد السؤال المثار عشرات من الأسئلة التي لا تكف عن طلب الإجابة ، ما السر الكامن من وراء رواج الحكايات الشعبية ؟ ماهي المتعة التي يجنيها المستمع ؟ ما الكلمة التي تتلفظ بها شفاه الراوي وتطرب لها آذان السامع ؟ هل هو سحر العبارة البسيطة وفنطازيا الحكي ؟ أم هي العوالم الخفية التي يفتحها الحكي للخيال ؟ أم هو عالم المحرمات و الطابوهات الذي يجذب إليه المحرومين ؟ أم هي التحولات و العجائب و الغرائب وحكايات السحر و المسخ ؟ !.

كل ذلك موجود حقيقة في أعماق الحكايات ، ولكن ما يكمن وراءه أعمق ، إن الرغبة الإنسانية في المعرفة و التطلع نحو الكمال و الحكمة "إذ تهدف كل القصص إلى شيء من المثالية و الحكمة " [2] ، ورحلة البحث عن شيء مفقود في الواقع ، كامن في أغوار النفس يحقق له السعادة التي أضناه البحث عنها وجدّ في الوصول إليها ، لكنها تبقى حلما صعب المراس يستعيض عنها الإنسان بالحكايات ولكنه في داخله يسعى إلى إيجاد السبل المفضية إليها .

كما تملك الحكاية الشعبية مقدرة عجيبة على استيعاب الإنسان الشعبي بكل تقلباته ومزاجه الذي لا يحتمل وأمانيه وتطلعاته فيضيف إليها بعفوية وتحتويه بحب لتسهم في وجوده كما

[1] - كمال صفوة : الحكاية الشعبية الكويتية ، ص94.
[2] - الموسوعة العربية : الحكايات الشعبية ، ص42.

أسهم في وجودها ، فقد عايشت الإنسان في جميع مراحل نموه الفكري و الاجتماعي و السياسي و النفسي ...الخ ،

وتكشف كذلك الحكاية الشعبية عن الاهتمام الروحي للشعب فيفصح عن مكنونات نفسه من خلال مضمونها ، "فهي عندما تجنح إلى ذكر الحوادث التاريخية لا تهدف إلى التركيز على الحدث التاريخي في حد ذاته بقدر ما تهدف الى التعبير عن رأي الشعب وآماله إزاء حوادث عصره "[1] ، ومما لا يدعوا للشك أن تنوع أنماط الحكايات يكون على حسب تنوع غاياتها فإنها ترمي إلى هدف واحد تنصهر فيه كل الغايات ، وهو إعادة الاستقرار و النظام لحياة الإنسان النفسية .

كما تسعى إلى التخفيف عن المكبوتات بالتعبير عنها ، فهناك حالات من انعدام التوازن النفسي ينتهي فيها تفكير الإنسان إلى أن الحقيقة الوحيدة في هذا الوجود هي الفوضى وهي حال تتجلى فيها الحياة فجأة لصاحبها على حقيقتها الكريهة ، فلا يرى فيها نظاما ولا معنى ولا يجد فيها مبررا لبقائه ، فيضج بالشكوى من صعوباتها وقد يسرف في الصراخ من لا معقوليتها ، وقد تمضي عليه فترة تطول أو تقصر وهو فاقد الإيمان ، منهك القوى عديم القدرة على السلوك ، فقد بعدت الهوة بين ما يتوقعه وما يأمل فيه ويترقبه ، وبين واقعه المرير الأليم ، ومن ثم يتطلع إلى عالم آخر من المثل يحقق فيه عن طريق الأحلام و الرؤى و الخيالات ما لم يحققه في عالم الواقع ، خاصة وانه يعيش منظومة مخاوف بالغة التنوع تحيق بوجوده ، فكل ما حوله لا يبعث عن الراحة إلى جانب الشعور بالنقص و القلق المستمر وغياب الإحساس بالتماسك و التكامل الداخلي .

وتخلق له الحكايات الأجواء التي طالما تمناها " فترد على تساؤلات الإنسان إزاء ما يحتاج إليه من تفسير وفلسفة سواء في عالمه المرئي "[2] ، فيستمد منها الكثير من العزاء و الرضا

[1] - نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير في الادب الشعبي ، ص129.
[2] - نبيلة ابراهيم : اشكال التعبير في الادب الشعبي ، ص129.

و الاكتفاء الذاتي ، فمنذ وجوده على الأرض وهو يحكي ليعلل ليرتاح نفسيا ، فاتول ما واجه الطبيعة ومظاهرها المختلفة فأرعبته وشوشة فكره واوجد لها الأسطورة ، فهي نوع من الحكايات ذات الطابع القداسي يقيم من خلالها معاهدة صلح مع الطبيعة ويعيد النظام الى الكون ، فأصبح يردد الحكايات الأسطورية كلما احتاج إليها " ما للاسطورة من سلطان على النفوس ومقدرة على تثبيت المعتقدات و الأفكار "[1] .

كما ترتقي بنا الحكايات إلى اعز مكانة في مدارج الخيال حيث تحلق بنا صورها العجيبة في فضاءات لا متناهية بعيدة عن منطق الحس وتفك قيود النفس من أصل الزمان و المكان فتوهمنا بوجود زمن محال وتشطح بملامح أبطالها إلى أقصى رتب الكمال من الحسن و القوة و الاقتدار ، وما انتصار البطل الشعبي سوى تعبير عن "حصيلة ذهنية خيالية لانتصار.

2- ملخص الحكاية:

كان لامرأة طفلان ؛ بنت وولد. قبل أن تتوفى حذرتهم من شرب الماء الراكد ، كما أوصت زوجها أن لا يبيع البقرة التي تملكها و تزوج الأب امرأة لها بنت.
عرفت بأن الطفلين يتغذيان من حليب البقرة ولذلك هما يتمتعان بالصحة والجمال. غارت منهما فدفعت بابنتها إلى الاقتراب من البقرة والرضاع من ضرعها، لكن البقرة رفستها وفقأت عينها، قامت زوجة الأب ببيع البقرة، ثم بحرق قبر الأم الذي يلتجئ إليه الطفلان فيوفر لهما بدوره الغذاء، ودفعت بهما إلى الرحيل من موطنهما الأصلي، أثناء الطريق شرب الولد من الماء الراكد فتحول إلى غزال بحث اليتيمان عن ملجأ، كبرت البنت وكانت فائقة الجمال عاشت مع أخيها عند عجوز، تزوجت البنت من شاب وأخذت عليه عهدا بأن لا يذبح أخاها الغزال، تبعت زوجة الأب ربيبتها و التحقت بها، وظلت معها هي وابنتها العوراء، بإيحاء من زوجة الأب قامت البنت العوراء باستدراج الفتاة اليتيمة نحو البئر ودفعتها فيه، وأخذت مكانها، وعندما استفسر الشاب عن سبب قبحها، ذكرت له بأن ذلك بسبب طبيعة ماء بلاده،

[1] - فراس السواح : الاسطورة المعنى ، ص 23.

كان الشاب قد شاهد ما حصل فأنقذ زوجته الحقيقية وأخفاها عن الأعين في مكان أمين، عاقب الشاب البنت العوراء ،وبعد تكليفها بمهام شاقة ذبحها ووضعها في تليس وقدمها لأمها.فندبتها هذه الأخيرة .[1]

3- التحليل النفسي لحكاية بقرة اليتامى

إن الملاحظ لهذه الحكاية يستوقفه دور الأم فيها منذ أول وهلة. ويمثل هذا الدور الدليل الواضح على الحضور المكثف لنموذج "الأم" طيلة تطور أحداث القصة ،إذن يمثل النمط الأصلي للأم الكبرى المدخل الواضح لدراسة هذه القصة وتحليلها من منظور علم النفس التحليلي اليونغي نسبة إلى "كارل غوستاف يونغ". يجد متلقي الرواية نفسه في مواجهة وجهين لهذا النمط الأصلي؛ الوجه السلبي الذي جسدته زوجة الأب الشريرة، والوجه الإيجابي الذي مثله دور الأم الضحية، التي تبدت في عدة صور خلال مراحل تطور الحكاية؛ في البداية تجلت في شكل نبعين من عسل وسكر يغذيان الطفلين المحرومين من الغذاء من طرف زوجة الأب الشريرة، ثم في شكل البقرة الحنون التي تسقيهما حليبا طيبا يساعد جسميهما على النمو، وقد ظل نفس الدور منوطا بضرع البقرة الملتصق بالجلد الذي حمله الأب من السوق إلى ولديه. يمثل توفير الغذاء للطفولة الملمح الأساسي الذي تتأكد من خلاله إيجابية النمط الأصلي. على العكس من ذلك يمثل التسبب في الحرمان من الغذاء الملمح السلبي لهذا النمط الأساسي و تتجسد إيجابية النمط أو سلبيته أيضا من خلال ثنائية الجمال/ القبح، فالأثر السلبي لنمط الأم الكبرى يظهر من خلال التشوهات التي تصيب الأبناء؛ فمتن الحكاية يذكر بقبح ابنة زوجة الأب الشريرة، أما الولدان اللذان تمتعا بحماية النمط الأصلي في صورته الإيجابية فقد تغنت الرواية طويلا بتمتعهما بالجمال وحسن البناء الجسدي، مما أثار غيرة الزوجة الشريرة. أبرزت الحكاية ملمحا ثالثا على جانب كبير من الأهمية، ميز بدوره بين إيجابية النمط وسلبيته، هو التبعية المطلقة للأم ، وهو وجه سلبي طبع علاقة زوجة الأب الشريرة بابنتها وانعكس عليها، فظلت مسيرة من طرف أمها مما تسبب في هلاكها في نهاية القصة بينما تمتع الشقيقان باستقلال نسبي عن أمهما بعد وفاتها، وخاضا تجربة الحياة فتكونت شخصيتهما وحققا نضجا مرحليا خلال كل قسم من أقسام الحكاية.

[1] -عبد الحميد بورايو:البطل الملحمي و البطلة الضحية في الادب الشفوي الجزائري ،الملحق،الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر 1998

جعلت الحكاية الشقيقين اليتيمين يمثلان فضاء الصراع الذي احتدم بين التوجهين السلبي والإيجابي للنمط الأصلي، وبالتالي فهما النموذجان الممثلان للشخصية البشرية في خوضها للصراع النفسي في علاقتها بالنموذج الأصلي الموروث للام الكبرى المستكن في أعماق اللاشعور. وقد قدمتهما الحكاية على أنهما النموذجان المثاليان الجديران بالإقتداء، وجعلت نهايتهما نهاية سعيدة مبشرة بالخلاص من عقدة الارتباط بالأم التي تولد معنا وتظل في أعماق لاشعورنا، تتحين الفرصة للبروز خلال مراحل العمر المختلفة. ومثلت البنت الشوهاء النموذج السيئ لسيطرة عقدة الارتباط بالأم، والذي سرعان ما يتحول إلى عائق لنمو الشخصية، وسببا في اللاتوازن الذي عبرت عن مغزاه القصة في نهايتها عن طريق بيان النهاية الكارثية التي تعرضت لها بنت زوجة الأب الشريرة.

إلى جانب النمط الأصلي المتعلق بالأم، تبرز الحكاية نمطا أصليا آخر لا يقل أهمية عن النمط السابق، وهو "القرين" و" القرينة"؛ لقد مثل الشقيقان اليتيمان هذا النمط، كل منهما بالنسبة للآخر، بحيث جسدت الفتاة نمط" القرينة" بالنسبة للطفل، بينما جسد الولد نمط" القرين" بالنسبة للفتاة. وقد تميزت قرينة الفتى بالملمح الايجابي، فساعدته على اجتياز الصعوبات، ومكنته من النضج النفسي، وتغليب الشعور في النهاية، وتجاوز مرحلة اللاشعور بينما مثل القرين بالنسبة للفتاة القوى السلبية التي كانت تشدها للمرحلة اللاشعورية، فتكبح نموها النفسي وتعرضها للخطر، وتخلق عراقيل في سبيل تطور قواها النفسية تقول نبيلة إبراهيم عن هذا النمط:" ...القرين أو القرينة جزء خفي في الإنسان مرتبط به وملازم له فهو جزء من محتوى اللاشعور" ولعل التحول السحري إلى حيوان والذي أصاب الطفل(تحوله إلى غزال) يمثل سمة لاشعورية تؤكد ما ذهبنا إليه تقول الدكتورة نبيلة إبراهيم:" ومن المعروف أن الحيوان المسحور في الحكايات الخرافية يرمز إلى هذا الجزء البهيمي أو الغريزي الذي يمكن أن يقود الإنسان إلى متاهات اللاشعور المظلمة "

4-المرموزات نفسية في حكاية بقرة اليتامى:

لا يزال الخوف من المجهول يشكل هاجسا يقض مضجع الإنسان الشعبي ، بل يعتبر من أعظم الأسباب التي تحرمه لذة العيش فتراه دائم التفكير فيه ،جاد في البحث عن حقيقته

يتوقع دائما حدوث الاسوأ، فراح يرخي العنان لخياله الجامع ليرسم له صورة تجسد مخاوفه من هذا المجهول ، ولم يكن ذلك بصعب على المخيلة الشعبية الخصبة ، ولكي يضفي نوعا من المصداقية على كائناته المتخيلة ، راح يلقي رموزا في حكاياته الشعبية ، منها ما يرمز له بالخير و منها بالشر و البطش ..الخ ومن هذه المرموزات المتناولة في حكايتنا (بقرة اليتامى نجد):

الاب : وهو يلعب دور الشخصية الرئيسية في الحكاية وهو ذو شخصية خيرية الا انه يخضع لاوامر زوجته ، و المقطع الدال على ذلك " وتزوج الشيخ من امراة ظن الخير في ناصيتها لكنها كانت تخفي تحت جمالها قلبا اسودا اقسى من الحجر قلبا لا يرحم ولا يلين .

ظريف ومرجانة : يرمزان الى الضحية في الحكاية من خلال المعاناة التي تعرضا لها من طرف زوجة الأب ويبدوا هذا واضحا في المقطع التي " انجب الشيخ من زوجته ... الخ وكان يقضيان وقتيهما مهملين جائعين "

زوجة الاب :و التي ترمز الى الشخصية الشريرة و الاكثر حقدا على الطفلين ، وكانت تمثل الامر الناهي في البيت رغم وجود زوجها

البقرة : وهي الرمز الذي بنيت عليه الحكاية من بدايتها الى نهايتها ، فهذه البقرة كانت بمثابة الام الحنون للطفلين ظريف و مرجانة .

السلطان : وهو الرمز الذي يمثل السلطة العليا و يمثل الشخصية الخيرية بتحقيق الامن و السلام داخل المملكة وخارجها .

العجوز : وهي الشخصية الخيرية التي ساعدت مرجانة في تعافي اخيها ظريف وكانت هي الاخرى تمثل الام بالنسبة لهم بعد تخلي والدهم عنهم وتركهم في الغابة

البئر : وهو حفرة عميقة في الارض وتمثل الظلام و المآزق و الخروج منه يمثل الانتصار .

الخاتمة : وفي خاتمة بحثنا هذا توصلنا إلى النتائج التالية:

*لعبت الحكاية الشعبية في منطقة حمام الضلعة دورا كبيرا في توسيع و تعميق ثقافة الفرد بما تزوده به من أخبار المجتمعات القديمة وما تسوقه له من خبرات وعبر يستفيد منها في حياته، وكل ما يتعلق ببيئته و محيطه الخارجي و ظروف حياته المختلفة ، وذلك من خلال الوظائف التي تؤديها.

*لقد كانت الحكاية الشعبية بحمام الضلعة مرآة صادقة عكست صورة المجتمع و اماطت اللثام عن مختلف العلاقات الاجتماعية كالعلاقات بين الفرد و الجماعة و العلاقات بين الجماعات نفسها، و العلاقة بين الحاكم و المحكوم ، إلى جانب العلاقة بين الرجل و المرأة وفسرت بعض أنواع النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع و أشكال السلطة الموظفة فيه كما عبرت عن هموم الإنسان الحمامي و طموحاته و تصوراته المختلفة و اعتقاداته الراسخة

*إن رواج و انتشار الحكاية الشعبية بين مختلف طبقات المجتمع الحمامي يعود بالدرجة الأولى إلى الوظائف التي أدتها و تؤديها خاصة الوظيفة النفسية ، فالحكاية تلبي الرغبات العاطفية و الوجدانية و الحاجات النفسية للناس ، و تعبر عن حياتهم الشعورية و اللاشعورية كما راجت لأسباب فنية و جمالية كطريقة السرد المميزة وشدة تعلق الجمهور بالراوي إذ يتوقف نجاح الرواية و استجابة الجمهور لفعل الحكي على مهارات و قدرات الراوي في إيصال رسالته ، و اللقاءات المباشرة مع الرواة ثم نص الحكاية في حد ذاته بينوا ذلك بوضوح .

*إن المصادر المتنوعة التي نهلت منها حكايات منطقتنا مادتها يدل على أن مجتمعنا قد عرف انفتاحا حضاريا على المجتمعات الأخرى خاصة وان التاريخ القديم للمنطقة أكد التبادل الثقافي و التأثير العلمي و الأدبي مع الشعوب المجاورة .

* أن في "بقرة اليتامى" نمطَ التفكير السائد في المجتمع الجزائري، والقيمَ المرغوبة فيه، مثل : تقديس عاطفة الأمومة والأخوة، والرحمة، وحب الناس، وفعل الخير، والنفور من الشر والظلم والكراهية، وتعظيم حق الوالدين والإحسان إليهما وإن أخطآ، واعتبار المرأة صانعا للسعادة أو الشقاء، وأن الحب والحماية من مقومات الرجولة والقِوامة، وأن للتربية أثرًا في صلاح الأولاد أو فسادهم، وأن الصراع بين الخير والشر أبدي، وأن عواقب الظلم وخيمة، وأن بعد العسر يسرا، إضافة إلى تمجيد الصبر وتعظيم شأن الحق والعقل، والتفريق بين الحكمة والخداع، وربط الحكمة بالعلم، وإعلاء مقام العلماء والحكماء، واعتبارهم قوام السياسة وحسن التدبير، وأن المشورة سبيل للصواب والرشاد، وهو ما يجعل من حكاية "بقرة اليتامى" حكمة في ذاتها.

ملحق الحكاية

الحكاية :

قالك واحد الراجل يخدم فلاح و عندو بقرة مربيها ، ماتت مرتو خلاتلو طفلة و طفل و قبل ما تموت وصاتوا على البقرة و قالتلوا ماتبيعهاش خليها للولاد ،زوَج هاداك الراجل بعد ما ماتت مرتو و جاب مرا أُخرى ،هاذيك لمرا زادت جابت معاه طفلة ،أَمالا مرتْ باباهم ولات تغير منهم بزاف و ماتمدلهمش ياكلو و يشربوا ، عادو كي يجوعو مساكن يروحوا للبقرة و يشربوا منها ،وكانت هاديك البقرة عندها ضرع عسل و لآخر حليب ،يرضعوا لولاد حتى يشبعوا ،أمالا لولاد هادوك بقاو غير يكبروا و يَزْيانوا ،حارت مرت باباهم ،و قالت وَشْ ياكلو هاذو الذراري حتى جابو روحهم هكذا و بنتي نعطيها تاكل قلب الحبة ماكبرت ما سمانتْ ؟ من اليوم نرجعَ نْعسهم.. ،كي عستْهم لقاتهم يرضعوا من البقرة ،قالت لراجلها بيع البقرة ، قالها يا مرا كيفاه نبيع البقرة ،بقرة ليْتامى ماتتباعش يا مخلوقة أنعلي الشيطان ،قالتلو قلتلك بيعها يعني بيعها ، الراجل مسكين صاب روحو بين نارين كي مَغلوب الشرَع دا البقرة للسوق و يعيطْ و يْقول **يا اللي يْسَمعْكُم بالخيرْ بَقْرَة لَيْتامى اللي يشريها يعشي فالندامة ...يردوا عليه الناس و يقولو ،ماتتباعش ،يعاود يردها للدار ،مرة على مرة و الحال كيما راه . قالت لو مرتو أديها المرة هاذي تتباع قالها يا مرا البقرة تاع ليتامى ماتتباعش قالتلو قلت لك المرة هاذي تتباع ،دا البقرة و مشى للسوق هو خْرَج منا و هي لبست برنوس و دارت عمامة كيما الرجال و مشات للسوق ،كي عيط و قال يا مالين الدلالة بقرة ليتامى تتباع ولا لالا...؟ نطْقَت هي بصيفَتْ راجَل و قالت بيع تَرْبَحْ ،راح الراجل للجزار و دا البقرة باعهالو و قالو عندي شَرط واحد .....خليلي الضرع تاع البقرة للذراري ،أعطاه هاذاك الضرع و داه الراجل و راح حطو في قبر مرتو يمات ليتامى ،و كي رجع للدار قالهم كي تجوعوا روحوا لقْبَر يماكم راني خليتلكم ضرَع البقرة ،عادو الذراري كلما يجوعوا يروحوا للقبر و يرضعو من هاذاك الضرع ،تباعت البقرة بصح لولاد مازالو كيما راهم شابين و صحاح ،حارت مرت باباهم و وصات بنتها تبعهم و تشوفهم واش ياكلو ا و تاكل كيفهم باه تكبر و تزيان كيما هوما ،تَبعتهم لقاتهم راحوا للقبر تاع ماماهم و كي فاقوا باللي راها تعس فيهم دارو روحهم ياكلوا في الحشيش ،كلات كيفهم بالصح مازيانتش ،صفارت و مرضت ، مرت باباهم ضَربَتْهُم و قالتَلهم علاه أنتم تاكلو الحشيش تكبرو و هي مَرْضَت..... كي راحت ترقد بقات تخمم كيفاش تدير باش تتهنى منهم

قالت لراجلها يا راجل البلاد هاذي ما فيهاش الخير لازم نرحلوا منها ....الصباح ناضوا بكري و لموا قشهم و رحلوا ،فالطريق جازوا على واد ،مَدت للطفل كَسْكاس و قالتلو عمر فيه الماء و مدت للطفْلَة الصوف كحلة و قالتَلها رديها بيضَة ،راحوا لَولاد مساكن للواد و بدى الطْفل يعمر في الكسكاس و هو يقطر و الطفلة تغسل في الصوف ما تنقاتش،وَلى الطْفَل يْغلق في الكَسِكاسِ بالطين باش يتعمرلو بالماء جاء ليه زاوش و قالو ..طري بالطينْ يَا مَسْكين نَاسَكْ رَحلوا و أنت في العين ،كي سمعو الزاوش يقوللهم هكذاْ فاقوا بلي كاين حاجة و رَواحوا للدَار ،مَرت باباهم قْبَل ما ترِْحَل خَبْزَتلهم الكسرة و دارت فيها الرهْج ،و رَبطت الكلب في الرحى(الطاحونة) هو يدور و المَطحنة دور معاه باه مايفيقوش لولاد بلي راحو و خلاوهم ،دخلو لولاد و لقاو الكسرة شد الطفل مورصو باه ياكل ماخلاتوش أُختو قالتلو مرت بابانا ماشي موالفة تخبزنها و ضُك راهم راحوا و خلاونا أستنى نفوتو نجربوها في الكلب ،رماو مورصو كسرة للكلب كي كلاها مات ،ولات مشات هي وخوها ،مشاو ،مشاو مشاو ،مشاو ،مشاو .....وصلوا لعين البقر ،عْطش الطفل و قالها أُختي عطشت خليني نشرب من هاذيك العين قالتلو لالا يا خويا ماتشربش هاذي عين البقرة تعود تشرب و توليلي بقرة ،زادو مشاو مشاو وصْلو لعين الداب قالها أختي عْطَشِت نَشِْرب قالتلو لالا يا خويا ماتشْربش توليلي دابْ ،زادو مشاو مشاو لْقاو عين لحصان قالها أختي نشرب قالتلو لالا يا خويا ماتشربش تْعود توليلي حْصان ،زادو مشاو مشاو لقاو عين لَغْزال قالها أختي نشرب قالتلو لالا تعود توليلي غْزال ، مسكين عطش بزاف خلاها مشات شوية و رْجع و شرب كي دارت لقاتو لْحَقْها غْزال قالتلو خْدَعَتْني يا خويا يا وليد اما و بويا قالها مانْساكشْ يا خْتي حتى نموت راحوا لواحد لبلاصة هي طلعت للشَجرةو تبات و هو يبات تحت الشجرة ،تقعد هي في الشجرة و تمشط شعَرْها لواحد النهار جاء السُلطان يْشَرب لَحْصان تاعو ،همالا لصقت شعرة طويلة في لسان لَحصان و ماحبش يشرب

شاف السُلطان هاذاك لحصان لقى الشعرة دايرة على لسانو نحاهالو و قال مولات هاذي الشعرة ما تكون غير عدرة و راح قاس هاديك الشعرة على البنات كامل تاع الدشرة و مالقى حتى وحدة عندها شعر كيما هاديك الشعرة و لا رجع للعين شاف ظل الطفلة في الماء تاع الواد .....طلع راسو لقاها فوق الشجرة قالها أَنْس ولا جنْ ؟قالتلو أَنْس ..لا اله الا الله محمد رسول الله ،قالها اهبطي ما حبتْش ،راح و بعثلها لعجوز الستوت قالتلو أنا نقْدر نجيبهالك

،راحت الستوت تحت الشجرة و حطت تخبز في الكسرة على الطاجين و هو مقَلوب و جابت المعزة و تحلبها من قرونها و تَحْكَمها من ضرَعْها ، نَطْقت الطفلة و قالت لها ماشي هاكذاك ،قالتها الستوت أرواحي أخبزيلي مالا و أحلبيلي ،هبطت و خبزت لها و حلبتلها المعزة و لْغدوة من ذاك زادت رجعت الستوت و دارت نفس الخدمة و كي نزلت ربطتها حتى جاء السُلْطان همالا قالها نزَوج بيك ،قالتلو نقبل نَزوج بيك بَصح بْشَرط ،مَا تاذيشْ خويا لَغْزال ،قالها شَرْطك مَقبول ،زَوجت بيه ولات عايشة في خيرْ بالخديمات في لَقْصَر ،يوم من لَيام جاء باباها يَطْلب ،طلت من التاقة عَرْفاتو قالت للخُدام قولولو يستنى حتى نخبزولو الكسرة ،خَبْزت الكسرة و دارت فيها الويز ،و بعثتهالو و قالتلو ما تَقْسَمهاشْ حتى تكون بين ولادك ،وصل للدار و حط الكسرة في الطابلة و قْسَمها طاح منها اللويز ،قالتْلو مرتو هاذي ماتكون غير بنتك لونجة ْ،غَدوة أدي خْتْها و رُوح لعندها ،كي داها فرحت بيهم لونجة و قعدت هي و ختها يشمسو قدام البير خت لونجة طبعتها و طاحت لونجة في البير و كانت حامل بالتوام ،و راحت حَكْمت بلاصتها ،و كي جاء السلطان قالها واش بيك يا لونجة كْحَلْتي قالتلو من ماء بلادكم ،قالها وش بيها عينك عوارت قالتلو من كحل بلادكم ،قاللها وش بيه شعرك حراش قالتلو من زيتكم ،غَدوة من ذاك قالتلو أذبح لَغزال قالها كيفاه نَذبحو يخي تفاهمنا عليها قالتلو قلت لك أذبحوا

سمع لغزال واش قالت العورة ،راح للبير و قعد يقول لونجة ،لونجة يا بنت ما لَمواسْ مضات و الطناجر غلات ،و خوك لَغْزال في المَمات قالتلو روح للسلطان و قولو يذبح بقرة و يشلحها و يملحها و يحطها على طرف البير ،راني ولدت و موسى على رُكبة و عيسى على رُكبة و لَحنش بو سَبْع روس يعس فينا ،سمعو الخُدام الهدرة هاذي و راحو قالو للسُلطان روح شوف لَغْزال واش يقول عند البير ،راح و طل يلقى لونجة مع لولاد ، ذبح البقرة و شلحها و ملحها ،خرج لحنش كلا اللحم و عطش راح يحوس على الماء جبدو لونجة هي و أولادها ،و حْكاتلهم كيفاه صرا هاذ الشي كامل .... حكم السلطان العورة ذبحها و نحالها راسها و طيبها و بعثها لماليها و دارو راس العورة في شكارةْ و ركبوها فوق الدابْ باش يوصلو ليماها ،،عرضت يماها الجيران باش ياكلو اللحم و تفرح و تقول سعدي ببنتي بعثتلي اللحم ،و الحمار يهدر و يقول ،تيس تيس راس العورة في التليس ،سمعاتو يماها و راحت للتليس و لقات راس بنتها عرفت باللي الشر اللي دارتو خلصاتو.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر

- القران الكريم
- الحديث النبوي الشريف

المراجع

1-الفيروز ابادي ، قاموس المحيط ، مادة (ح.ك.ي).
2-العسكري ابي هلال : كتاب جمهرة الأمثال ، دار الكتاب العلمية ، ج 1 ، بيروت ، 1998.
3-ابن منظور ، لسان العرب المحيط : دار لسان العرب – بيروت – مادة (ح ، ك ، ي)
4–أبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشري النيسابوري، صحيح مسلم المسمى الجامع الصحيح، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ج 13 المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001.
5-احمد أبو زيد وآخرون :دراسات في الفلكلور ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، دط ، القاهرة ، 1972.
6-احمد رشدي صالح , الأدب الشعبي , مكتبة النهضة المصرية , القاهرة , ط3 , 1971 .
7–أحمد زغب : الأدب الشعبي (الدرس والتطبيق)، مطبعة مزوار، ط1 ، الوادي، 2008.
8–أحمد زغب جمالية الشعر الشفاهي نحو مقاربة أسلوبية سيميائية للنص الشعري الشفاهي، دكتوراه جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر،2007/2006 ،ص52
9–التلي بن الشيخ منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري.
10-برونو بتلهايم، التحليل النفسي للحكايات الشعبية، ترجمة طلال حرب، دار المروج - بيروت - دط، 1985.
11-ثريا التيجاني : دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري ، ص77، نقلا عن قطبي الشريف : بحوث في اللغة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1990.
12-جمال طاهر وداليا جمال طاهر : موسوعة الامثال الشعبية (دراسة علمية) ،دط ،د ت.
13-خالد احمد الشنتوت , دور الطفل في تربية الطفل المسلم , شركة شهاب للنشر والتوزيع - الجزائر , ط د , 1988 .
14-روزلين ليلى قريش , القصة الشعبية الجزائرية ذات الاصل العربي .
15–سامية حسن: الثقافة والشخصية (بحث في علم الاجتماع) ، دط، بيروت، 1991.
16-شوقي عبد الحكيم , الحكايات الشعبية العربية , دار ابن خلدون , بيروت , ط1 , 1980 .
17-عابدين عبد المجيد : الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظرائها في الاداب السامية الأخرى ، دار مصر للطباعة ، ط1، 1957.

18-عايدة بامية , بقرة اليتامى , مجلة مركز الدراسات والابحاث الخاصة بالتنمية الجهوية , عنابة , د ط , 1982.
19-عبد الحميد بن الشيخ: مظاهر الأسطورة في المعتقدات الشعبية في الريف الجزائري ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2002 .
20-عبد الحميد بن هدوقة : أمثال جزائرية في قرية الحمراء ولاية برج بوعريريج ، دط ، الجزائر ، 1962 .
21-عبد الحميد بورايو : القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية) .
22-عبد الحميد بوسماحة: الموروث الشعبي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، دار النسل للنشر والتوزيع، دط، الجزائر 2008.
23-عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب ،دط، القاهرة، 1982.
24-عبد الرزاق جعفر :ادب الطفل ، دراسة دمشق ،اتحاد كتاب العرب ،دط،1979.
25-عبد المالك مرتاض : العامية الجزائرية وعلاقتها بالفصحى ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، د ط ، الجزائر ، 1981.
26-عبد الله بن المقفع و كليلة ودمنة , الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر- , ط2 , 1981 .
27-عز الدين إسماعيل : القصص الشعبي في السودان (دراسة في فنية الحكاية ووظيفتها) الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر ، دط ، القاهرة ، 1971.
28-على زيعور مذاهب علم النفس، دار الأندلس للطباعة والنشر و التوزيع - بيروت - لبنان، ط3، 1980.
29-علي فؤاد : علم الاجتماع الريفي ، دار النهضة العربية ، د ط ، بيروت ، د ت .
30-عمر الرحمان الساريسي , الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني , المؤسسة العربية للدراسات والنشر -بيروت- ط1 , 1980 .
31-عبد المالك مرتاض : الألغاز الشعبية الجزائرية (تحليل لمجموعة من الألغاز الجزائرية)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 2007.
32-فوزي العنتيل , الفلكلور ماهو ؟ , دار المسيرة - بيروت- , ط2 , 1987 .
33-محمد البشير شنيتي : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني (بحث في منظومة التحكم العسكري الليمس الموريطاني ومقاومة الروم) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، د ط ، الجزائر ، د ت .
34-محمد سعيدي , نص الاستهلال في الحكاية الشعبية , مجلة بحوث سيمائية , دار الغرب للنشر والتوزيع , - تلمسان- و العدد الاول , د ط , 2002 .
35-يوري سوكولوف , الفولكلور قضايا تاريخه , ترجمة علي شعراوي وعبد الحميد حواس , الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر , د ط , 1971 .
36-محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس الدار التونسية للنشر، دط ،1967.

37-محمد سعيدي ، نص الاستهلال في الحكاية الشعبية ، مجلة بحوث سميائية .
38-محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق.
39-مصطفى ناصف , محاورات مع النثر العربي , مجلة عالم المعرفة , المجلس الوطني للثقافة , والفنون لاداب الكويت ,1997.
40-الميداني ابي الفضل : مجمع المثال ، دار مكتبة الحياة ، م ج 1 ، ط 2 ، لبنان ، د ت .
41-نبيلة إبراهيم :أشكال التعبير الشعبي ص175، نقلا عن : Andre 150 jolles :Einfache former ;s.
42-يان فانيسا , الماثورات الشفاهية , ترجمة احمد مرسلي علي , دار الثقافة للطباعة والنشر , القاهرة , دط .

المجلات

1-مجلة الحضنة : عدد خاص بمناسبة الذكرى الخمسين لعيد الاستقلال و الشباب ، تصدر عن ولاية المسيلة جويلية 2012 .
2-مجلة الحضنة : عدد خاص بمناسبة ذكرى يوم المجاهد ومؤتمر الصومام ، تصدر عن مديرية ولاية المسيلة .
3-مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية : عدد خاص : الملتقى الأول حول الهوية و المجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري عنوان المقال: الانصهار الثقافي الأمازيغي العربي في منطقة الأوراس وتأثيره في هوية السكان : امزيان وناس ، جامعة باتنة .

المذكرات :

1-السلوك الاجتماعي و القيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري " دراسة اجتماعية أدبية " رسالة دكتورا لسنوسي صليحة ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان.

2-الحكاية الشعبية في منطقة حمام الضلعة "جمع ودراسة " رسالة ماجستير في الأدب. الشعبي الجزائري للطالبة هجيرة عزيزي ، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة .

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ-د
الفصل الأول : 1- بيئة الحكي	
أولا : لمحة جغرافية عن ميدان الدراسة	6
أ- النشأة و التسمية	6
ب- الموقع	6
ثانيا : لمحة تاريخية عن ميدان الدراسة	8-6
ثالثا : النشاط الاقتصادي بالمنطقة	9-8
أ-النشاط الزراعي	9-8
ب-الرعي وتربية المواشي	9-8
ج-الصناعة	9-8
2- مظاهر الثقافة الشعبية في المنطقة	10-9
أولا : المعتقدات الشعبية	10-9
أ-الاعتقاد بالأولياء الصالحين	10-9
ب-الاعتقاد بعوالم الجن و العفاريت	10-9
ج-الاعتقاد بالعين ووجود السحر وممارسته	11-10
د-الاعتقاد بان الميت يوصل السلام	11-10
هـ-الاعتقاد بوجود رجل طائر في المنطقة	11-10
ثانيا :عادات وتقاليد المجتمع الحمامي	13-11
أ-عادة التويزة	12-11
ب-عادة الزواج	13-12
ج-عادة الختان	13-12
د-عادة الوزيعة	13-12
ثالثا :الطب الشعبي في المنطقة	14
أ-الطب المادي	14
ب-الطب الروحي	14
رابعا : الجانب الديني في المنطقة	15-14
خامسا : اللهجة المحلية في المنطقة	16-15
3-أشكال التعبير الشعبي في المنطقة	16
أ-المثل الشعبي	18-16
ب-الشعر الشعبي	20-18
ج-الحكاية الشعبية	20
د-الأغنية الشعبية	22-20

هـ-النكتة الشعبية	23-22
و-الألغاز الشعبية	25-23
4-واقع الحكي في المنطقة ومدى الاستجابة له	28-25
الفصل الثاني : ماهية الحكاية الشعبية	
1-مفهوم الحكاية الشعبية	30
أ-لغة	30
ب-اصطلاحا	31-30
2-مصادر الحكاية الشعبية	31
2-1-الرواة	33-31
2-2- واقع الناس	35-33
2-3- كليلة ودمنة	37-35
2-4-ألف ليلة وليلة	39-37
3-وظائف الحكاية الشعبية	39
3-1-وظيفة التسلية و الترفيه	40-39
3-2-الوظيفة التربوية التعليمية	42-41
3-3- الوظيفة النقدية	44-42
3-4-الوظيفة الثقافية	49-44
3-5-الوظيفة النفسية	54-49
الفصل الثالث : تجليات الخطاب النفسي في حكاية بقرة اليتامى	
1-المنهج النفسي في تحليل الحكاية	58-56
2- ملخص الحكاية	59-58
3- التحليل النفسي لحكاية بقرة اليتامى	60-59
4-المرموزات نفسية في حكاية بقرة اليتامى:	62-61
الخاتمة	64-63
الملحق	68-66
قائمة المصادر و المراجع	70-69

ملخص المذكرة :

إن الحكاية الشعبية لها وزن كبير في أوساط المجتمع الحمامي خاصة ، و الجزائري عامة لذا فالواجب علينا كقراء لهذه الحكاية أن نحافظ عليها من الزوال لأنها تعتبر رمز المجتمع وتدخل في عادات هو وتقاليده العريقة عبر العصور.

كما بينت لنا هذه المذكرة أهمية الحكاية الشعبية خاصة في وقتنا هذا أين نجد القلق يحوم على أفراد مجتمعنا و التوتر و الخوف و الجهل الذي يسود محيط مجتمعنا ، ولهذا فالحكاية الشعبية تعتبر أداة فعالة التي تجسد المحبة و الأخوة و التضامن و الإخلاص ، فهي مدرسة لأجيال وأجيال تعلم الفرد كيفية المعاملة مع الآخرين ، وتغرس فيهم الروح الوطنية و القيم الأخلاقية التي يجب أن يتقيد بها كل فرد في مجتمعه .

Summary of the memo:

The folk tale has great weight among Hamami society in particular, and Algerian society in general, so it is our duty as readers of this tale to preserve it from disappearing because it is considered a symbol of society and is part of its ancient customs and traditions throughout the ages.

This memorandum also showed us the importance of the folktale, especially in our time, where we find anxiety looming over members of our society and the tension, fear, and ignorance that prevail around our society. Therefore, the folktale is considered an effective tool that embodies love, brotherhood, solidarity, and sincerity. It is a school for generations and generations. It teaches the individual how to deal with others, and instills in them the patriotic spirit and moral values that every individual in his society must adhere to.